ماجد ملحم

عندما زارني شمس

رواية

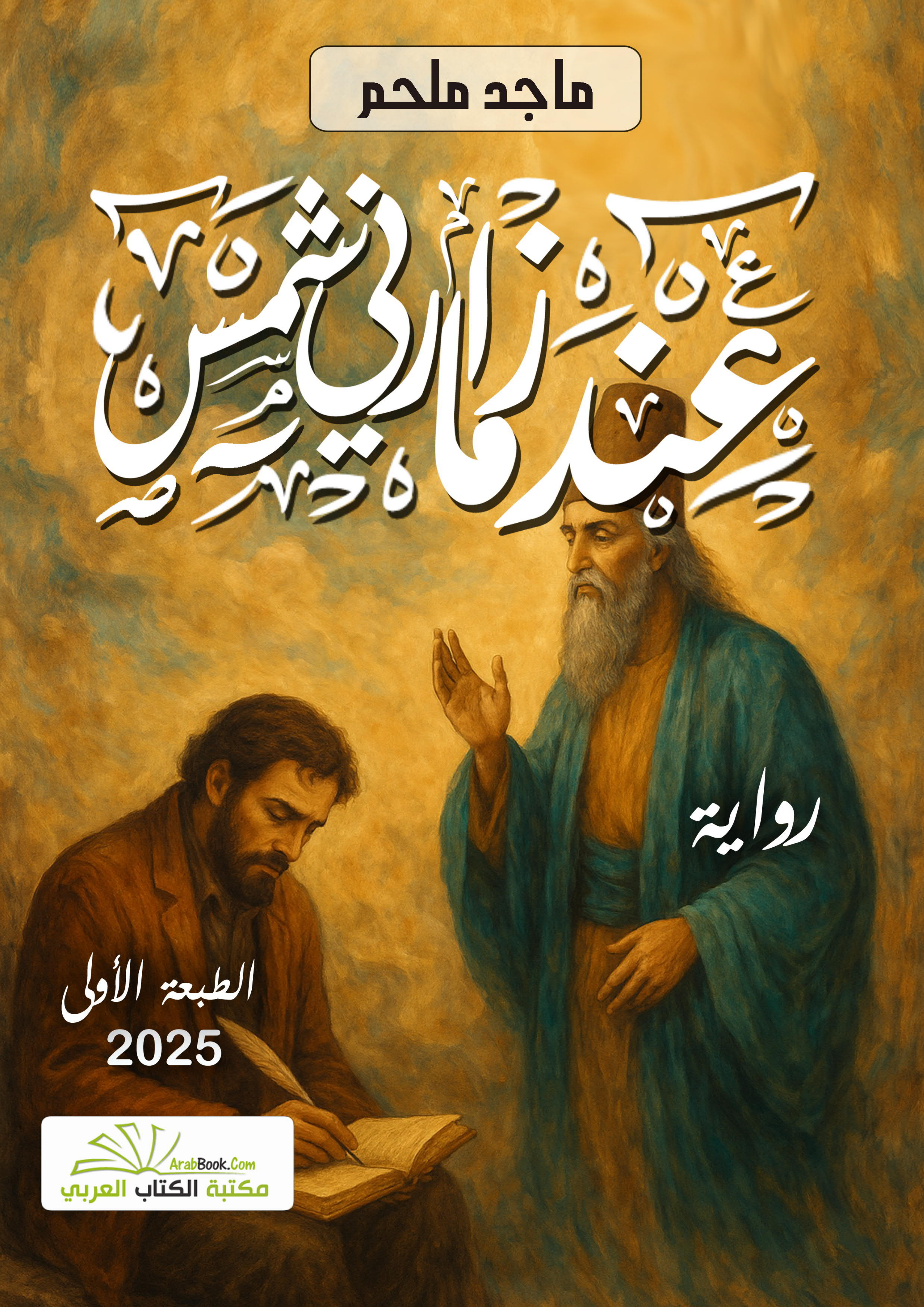

الطبعة الأولى
2025

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

عندما زارني شمس

رواية

ماجد ملحم

الطبعة الأولى
2025م

مكتبة الكتاب العربي
ArabBook.Com

عندما زارني شمس

ملحم، ماجد

عندمازارني شمس، رواية

ط 1 - 2025م

نسخة إليكترونية

Molhem, Majed.

When the Sun Visited Me: A Novel.

1st Edition – 2025.

Electronic Edition.

First Printing

حقوق النشر

جميع الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تُعبّر فقط عن آراء المؤلف
ولا تُعبّر بالضرورة عن آراء ArabBook.Com.

ArabBook.Com © 2025 جميع حقوق النشر والتصميم محفوظة.
لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في أي نظام لاسترجاع المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، سواء بالتصوير أو التسجيل أو بأي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أخرى، دون إذنٍ خطي مسبق من الناشر،
باستثناء الاقتباسات القصيرة في المراجعات النقدية أو الأبحاث الأكاديمية.

وسائل التواصل مع الناشر:
البريد الإلكتروني:
info@arabbook.com

الموقع الإلكتروني:
https://www.arabbook.com

طُبع ونُشر بواسطة ArabBook.Com، 2025م.

1447هـ - 2025م

Copyright Notice

All opinions and ideas expressed in this book are solely those of the author and do not necessarily reflect the views or positions of ArabBook.Com.

© 2025 ArabBook.Com. All rights to publication and design are reserved.
No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews or scholarly works.

Contact Information:
Email: info@arabbook.com
Website: https://www.arabbook.com

Printed and published by ArabBook.Com, 2025.

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي
1447هـ - 2025م

الفصل الأول

حين ظنَّ الكاتب أن الكره حِكمة

لم يكن الليل يزور غرفته...

بل كان يقيم فيها.

جدران باهتة،

مكتب خشبي أكلت حوافه أكواب القهوة والانتظارات القديمة،

مصباح أصفر يعلّق في سقف الغرفة كقمر تَعِب،

وكرسيّ مهترئ اعتاد أن يحمل جسدًا أثقلته الأفكار أكثر مما أثقلته السنين.

جلس الكاتب أمام الدفتر المفتوح،

والقلم بين أصابعه لا يشبه أداة للكتابة،

بل سكينًا صغيرة يحفر بها داخل نفسه.

لم يكن يعرف كيف يصرخ.

الصراخ يحتاج صدرًا واسعًا،

وقلبًا يملك الشجاعة أن يعترف بما يوجعه.

هو لا يملك هذا...

فقرر أن يكتب بدل أن يصرخ.

في البداية لم تكن هناك "قواعد."

كانت هناك جملة واحدة فقط

سقطت من روحه على الورق كدمعة حارّة:

«لا تمنح أحدًا فرصة ليؤذيك مرتين.»

تأمل الجملة طويلًا.

هزّ رأسه ببطء،

وشعر بشيء يشبه الرضا المرّ

يتمدد في صدره.

–نعم...

تمتم لنفسه:

–هذا ما كان يجب أن أتعلمه منذ البداية.

أعجبته الفكرة.

أعجبه أن قادرٌ على تحويل جرحه إلى "قاعدة"،

إلى شيء يبدو ثابتًا،

راسخًا،

محسومًا...

كأن الألم حين يتحول إلى كلمات

يصبح أقل وحشية.

مدّ يده وكتب جملة أخرى:

«لا تُصَدِّق قلبك حين يلين... فاللين بابٌ مفتوحٌ للطعن.»

ثم ثالثة:

«اقترب بعقلك، و ابتعد بقلبك... فالقلب لا يعرف كيف ينجو.»

وما إن بدأ السيل... حتى لم يتوقف.

جلس تلك الليلة حتى الفجر

يكتب،

ويمسح،

ويعيد،

ويضيف،

ويخترع لنفسه من الألم فلسفة،

ومن الخذلان خريطة نجاة.

كتب عن الحذر كأنه دين:

«كلما تعمّقتَ في معرفة الناس،

ازدادت رغبتك في الابتعاد عنهم.»

وكتب عن المسافة كأنها خلاص:

«المسافة هي الحائط الأخير بينك وبين الانكسار...

اقترب خطوة، ثم تذكّر أن تتراجع خطوتين.»

وكتب عن الحب كأنه مرض قديم:

«الحب وهمٌ جميل...

والحقيقة أن الخوف هو المعلم الوحيد الذي لا يخون.»

ورقة بعد ورقة،

قاعدة بعد قاعدة،

حتى صار أمامه ستّون قاعدة

متراصة كجنود يدافعون عن القلعة الأخيرة في قلبه.

رفع رأسه ونظر إلى العنوان الذي كتبه في الأعلى بخطّ عريض:

«قواعد الكُره الستّون»

ابتسم.

لم تكن ابتسامة شخص سعيد،

بل ابتسامة من يظن أنه انتصر أخيرًا على ضعفه.

فهو الآن – كما أقنع نفسه – لم يعد بحاجة إلى الحب،

ولا إلى أحد،

ولا إلى يدٍ تمسكه كي لا يقع.

لقد صنع لنفسه درعًا من الكلمات،

وجدارًا من الحذر،

وسقفًا من اليقظة الدائمة.

تذكّر كيف كتب في مقدمة هذا الدفتر، وكأنه يبرر لقلبه:

«هذا الكتاب ليس تمجيدًا للكراهية،

بل خريطة نجاة لمن أرهقه الحب،

و أتعبته الخيبات،

وأطفأته الوعود الناقصة.»

أعجبه هذا الكلام.

أعجبه أن يبدو عاقلًا،

متماسكًا،

يدّعي أنه لا يكره أحدًا...

هو فقط "يحمي نفسه."

أنهى القاعدة الستين،

تأملها قليلًا:

«لا تثق بقلبك...

فهو أول من يدفعك نحو الذين سيكسرونه.»

ثم وضع نقطة النهاية بعزمٍ يشبه ضربة ختم على ورقة رسمية.

أغلق الدفتر بقوة،

وكأنه يغلق بابًا قديمًا على كل ما عاشه.

أسند ظهره إلى الكرسي،

وأطلق زفيرًا طويلًا،

وقال لنفسه بصوت مسموع:

–انتهت اللعبة.

لن يجرحني أحد بعد الآن.

في تلك اللحظة بالذات،

شعر بشيء يشبه الراحة...

لكنها لم تكن راحة النور،

بل راحة العمى لمن يخاف أن يفتح عينيه على الحقيقة.

سعادة غريبة تسللت إلى داخله،

سعادة من نوع جديد:

سعادة الرجل الذي بنى جدارًا عاليًا حول قلبه،

وجلس فوقه يصفّق لنفسه لأنه نجح في أن يعزل روحه

عن كل ما يمكن أن يؤلمها...

وكل ما يمكن أن يحييها أيضًا.

ولم يكن يدري...

أن الحب الوحيد الذي عاشه ذات يوم،

ذلك الحب الذي دخل قلبه بلا استئذان،

لم يجرحه فقط...

بل أصابه بنوع من العزلة الداخلية،

عزلة تشبه التوحّد،

تجعله يغلق أبوابه كلها أمام العالم،

ويتقوقع داخل صمته،

ويتعلم أن يعيش بعيدًا عن الآخرين

حتى وهو يجلس بينهم.

حبٌ واحد فقط...

كان كافيًا ليعيد تشكيل دماغه وذاكرته وطريقة نظرته للحياة،

وكأن قلبه بعده لم يعد يعرف لغة الناس،

بل لغة الهروب فقط.

لم يكن يعرف...

أن هذه القواعد الستين،

التي كتبها وهو يظن أنها خلاصة حكمته،

ستكون هي نفسها

المطرقة التي ستهدم الجدار حجرًا بعد حجر.

ولم يكن يعرف...

أن هذا الدفتر

الذي أغلقه الآن مطمئنًّا،

سيُفتح يومًا

أمام رجلٍ قادمٍ من جهةٍ لا تُسمّى،

من نورٍ لا يشبه نور المصابيح،

يدعى :**شمس الدين التبريزي.**

وأن كل قاعدة كتبها خوفًا...

ستتحول على يدي هذا الغريب

إلى مرآة تكشفه،

لا سلاح يحميه.

في تلك الليلة،

نام الكاتب وهو يظن أنه حمى قلبه إلى الأبد.

ولم يكن يعلم...

أن قلبه لم يكن ينتظر الحماية،

بل ينتظر الصحوة.

صحوة ستبدأ

حين يطرق النور بابه

لأوّل مرة.

الليلة التي تغيّر كل شيء**

لم يكن الليل مختلفًا عن الليالي السابقة...

ومع ذلك، كان كل شيء فيه *غير مألوف*.

جلس الكاتب في غرفته الضيقة،

الدفتر مغلق أمامه،

وعلى الغلاف آثار أصابعه التي ضغطت عليه حين ختم "القواعد الستّين."

ظنّ أن الأمر انتهى،

وأن قلبه أصبح محصّنًا،

وأن الليل لن يطالبه بشيء بعد الآن.

لكن الليل...

له طريقته في كشف المستور.

الساعة الثالثة فجراً

الساعة التي تكون فيها الأرواح خفيفة،

والستائر تتنفس،

والظلال تمشي وحدها.

كان الكاتب يحاول النوم،

لكن شيئًا ما كان يوقظه كلما أغمض عينيه:

صوت خفيف،

ليس طقطقة خشب،

ولا حركة نافذة،

ولا لهاث نسيم.

كان شيئًا أقرب إلى همس...

همس داخل العقل،

لا خارج الغرفة.

رفع رأسه من الوسادة،

نظر حوله...

لا أحد.

عاد ليستلقي،

فسمع الصوت مرة أخرى،

أقرب،

أوضح:

«أهذا كل ما تظنه من الحكمة؟

أن تُغلق قلبك وتظنّ أنك نجوت؟»

تجمّد الدم في عروقه.

انتفض جالسًا.

مسح وجهه.

نظر إلى الكرسي الخشبي أمام مكتبه.

ظلّ الكرسي مكانه...

لكن ظلاله لم تكن كما هي.

كان هناك ظلّ إضافي،

ظلّ خافت،

شبه بشري،

منحني،

يجلس على الكرسي وكأن أحدًا يجلس فوقه...

لكن لا أحد مرئي هناك.

ابتلع الكاتب ريقه بصعوبة:

–من هناك؟

الصوت عاد،

لكن هذه المرة من داخل صدره،

كأنه يخرج من إحدى زوايا روحه:

«أنا مَن يسمع صمتك قبل كلماتك...

وأنا الذي لم تدعه يقترب حتى حين كتبت أنت القواعد الستّون.»

ارتجّ قلبه.

قام من فراشه ببطء.

اقترب من المكتب.

الظلّ كان ثابتًا،

وكأن صاحبه ينتظر.

فجأة...

تهب نسمة باردة تمرّ عبر الغرفة

رغم أن النوافذ مغلقة.

تتحرك الورقة البيضاء فوق الدفتر المغلق...

ثم تُقلب من تلقاء نفسها

وتكشف الصفحة الأولى من القواعد.

كأن أحدًا فتح الدفتر...

وأراد أن يعيد قراءته.

سمع الصوت يقول:

«آخر مرة فتحت فيه هذا الدفتر...

كنتَ تصرخ.

أمّا الآن... فأنت فقط تختبئ.»

رفع الكاتب صوته رغم ارتعاشه:

—من أنت؟!

ساد الصمت لثوانٍ...

ثم جاء جواب هادئ،

عميق،

لا يشبه صوت البشر:

«أنا الحقيقة التي ظلّت تنتظر أن تفتح لها الباب.»

وتزامن الجواب

مع اهتزاز المصباح المعلّق في السقف،

فارتسم ظلّ الرجل بوضوح أكبر...

رجل طويل،

نحيل،

يرتدي رداء فضفاضًا كالذي يلبسه الدرويش،

وجهه غير واضح،

كالضوء حين يتحرك.

تراجع الكاتب إلى الخلف خطوة،

وضع يده على صدره،

وقلبه يطرق الطرق الكبير.

الصوت عاد،

لكن هذه المرة ناعم،

واثق،

كأنه يخاطب تلميذًا لا يعرف أنه كذلك:

«أنا... شمس.»

«شمسٌ جاء ليكشف ظلك...

قبل أن يكشف نورك.»

شهق الكاتب.

لم يكن يعرف إن كان يحلم،

أم يهذي،

أم أنه فعلاً يسمع ما يسمعه.

لكن الظلّ لم يعد ظلًا.

بدأ يكتسب شكلًا،

وصوتًا،

وملامح رجل يشبه...

نعم...

يشبه الشخص الذي خذله قديمًا.

يشبهه كثيرًا.

صرخ الكاتب:

–لماذا...؟ لماذا بهذا الشكل؟!

أجاب شمس:

«لأن أول مرآة تواجه بها نفسك...

هي وجه مَن كسرك.»

«وما دام الجرح لم يُشفَ...

فسيظهر كل نورٍ في هيئة ألم.»

وتلاشى الظلّ فجأة...

كأن كائنًا من نور انطفأ للحظة.

سقط الكاتب على كرسيه وهو يلهث.

نظر إلى الدفتر.

الصفحة الأولى كانت مفتوحة.

القاعدة الأولى

مكتوبة أمامه:

«لا تمنح أحدًا فرصة ليؤذيك مرتين.»

سمع الصوت مرة أخرى، بعيدًا لكنه واضحًا:

«هذه ليست حكمة،

بل جدارٌ وضعته حول روحك.

وحضوري...

سيبدأ من هدم هذا الجدار.»

ثم عاد الصمت...

صمت كثيف،

صمت يشبه الانتظار.

والكاتب،

للمرة الأولى منذ زمن طويل،

لم يشعر بالخوف فقط...

بل بشيء يشبه الفضول.

فضول رجل يعرف...

أن حياته تغيّرت

وأنه لن يعود كما كان.

الظهور الأول لشمس... حين جلس في هيئة من كسر الكاتب**

كان الصباح بطيئًا...

وكأن الشمس نفسها تتردد قبل أن تشرق على يومٍ بدأ غريبًا.

استيقظ الكاتب وهو لا يعرف هل ما عاشه في الليل حلمٌ أم حقيقة،

لكنه كان يعرف شيئًا واحدًا:

الغرفة لم تعد كما كانت.

الهواء لم يعد كما كان.

والقلب...

لم يعد كما كان.

جلس على طرف السرير،

يمسح وجهه،

ويحاول أن يعيد ترتيب نفسه.

فإذا بالباب الخشبي الداخلي يصدر خشخشة خفيفة...

ليس صوت فتح،

ولا انغلاق،

بل وجود.

رفع رأسه.

ورأى رجلًا يجلس على الكرسي الخشبي أمام مكتبه.

لم يفتح الباب...

لم يدخل من النافذة...

لم يتحرك من مكان آخر.

كان *فجأة* هناك.

رجل يجلس باتزان،

ساق فوق الأخرى،

ينظر إلى الدفتر المغلق أمامه

كأنه يقرأ تاريخ روح كاملة.

لم يتحرك الكاتب.

شعر بأن صدره ينكمش ويتسع في اللحظة نفسها.

الرجل رفع رأسه،

ألقى نظرة مباشرة إلى الكاتب،

وقال بنبرة هادئة...

نبرة تحمل ألف حكمة وألف نار:

–صباح النور يا صاحبي.

تعثر الهواء في رئتي الكاتب.

لم يستطع الردّ.

فابتسم الرجل وقال:

–أنت لم تنم جيدًا...

ليس لأنك خائف،

بل لأن روحك وجدت أخيرًا من يطرق بابها.

اقترب الكاتب خطوة.

ثم رأى الملامح بوضوح.

ملامح ليست غريبة.

بل مألوفة حدّ الألم...

إنه الرجل الذي خذله قبل سنوات.

نفس الوجه،

نفس العينين،

نفس تلك القسوة التي لم تكن قسوة،

بل خيبة قاسية.

لكن الملامح هذه المرة...

كانت هادئة.

مضيئة قليلًا.

كأنها نسخة نقيّة من الشخص الحقيقي.

قال الكاتب بصوت مرتجف:

–لماذا... لماذا اخترتَ هذا الشكل؟!

نهض الرجل...

ثم بدأ الضوء يتلاشى من وجهه،

والملامح تتبدّل تدريجيًا

كما لو أن مخلوقًا من نور يرتدي قناعًا بشريًا.

وظلّ يتغير...

حتى ظهرت الملامح الجديدة:

وجه ذو عمق،

وعينان سوداوان كبيرتان تشبهان بئرين بلا قاع،

ولحية رقيقة،

وجسد نحيل يكسوه رداء واسع.

ابتسم وقال:

–لأنك لم تشفَ بعدُ منه...

فكان لابد أن أظهر لك بوجه الجرح

قبل أن أظهر لك بوجه الشفاء.

جلس على الكرسي،

وأشار إلى الكاتب كي يجلس مقابله.

تردد الكاتب...

ثم جلس.

قال شمس:

–دعنا نبدأ...

قرأتُ قواعدك الستين.

كل قاعدة منها هي نافذة إلى جرح،

لا إلى حقيقة.

فتح الدفتر بلمسة خفيفة،

كأنه يعرفه أكثر مما يعرفه صاحبه.

قرأ القاعدة الأولى بصوت مسموع:

«لا تمنح أحدًا فرصة ليؤذيك مرتين.»

ثم رفع عينيه:

–هذا ليس درسًا في الحياة...

هذا خوفٌ من الحياة.

قال الكاتب بتوتر:

–هو حماية.

–لا،

ردّ شمس بعمق:

–الحماية ليست خوفًا من الناس...

الحماية فهمٌ للناس.

صمت الكاتب.

قلب شمس الصفحة،

القاعدة الثانية

قرأ القاعدة الثانية:

«لا تصدّق قلبك حين يلين... فاللين بابٌ مفتوح للطعن.»

ضحك شمس ضحكة خفيفة:

–اللين ليس ضعفًا يا صديقي...

اللّين باب للشفاء.

الصلابة وحدها هي التي تكسر القلب.

ثم وضع يده على الصفحة

وكأنه يمسح أثرًا لا يراه إلا هو:

–قلبك لم يُطعَن بسبب لينك...

بل لأنك منحت اللين لمن لا يعرف قيمته.

وهناك فرق كبير.

ابتلع الكاتب ريقه.

كانت الكلمات تصيبه كأنها سهام من نور.

القاعدة الثالثة

قلب شمس الصفحة الثالثة:

«اقترب بعقلك، وابتعد بقلبك... فالقلب لا يعرف كيف ينجو.»

هنا رفع شمس يده إلى صدر الكاتب دون أن يلمسه،

وقال:

–القلب لا يريد النجاة...

يريد الفهم.

وأنت لم تسمح له أن يفهم.

أطفأتَه قبل أن يبحث،

وقمعتَه قبل أن يجرّب،

وحكمتَ عليه قبل أن يخطئ.

اقترب شمس خطوة وقال بصوت منخفض:

–العقل ينجو...

لكن القلب ينجّي.

شعر الكاتب بقشعريرة تسري في جسده.

ثم قال شمس بنبرة حاسمة:

–هذه القواعد ليست "حكمة."

بل إعلان حرب على نفسك.

وكل مرة ظننتَ أنك تحمي قلبك...

كنتَ في الحقيقة تحبس نورك.

تراجع الكاتب قليلًا،

نظر إلى الدفتر،

ثم إلى وجه شمس.

وسأل بصوت طفل اكتشف أنه لا يعرف شيئًا:

–ولماذا جئت؟

اقترب شمس منه،

جلس أمامه على الأرض،

وقال بصوت كأن الصمت نفسه ينصت إليه:

«جئتُ لأفتح قلبك من جديد...

كما فتحتُ قلب رجلٍ قبلك...

رجلٍ اسمه جلال الدين الرومي.»

ثم أضاف بابتسامة تحمل سرًّا كبيرًا:

«وما فعلتُه فيه...

سأفعله فيك.»

وختم بنظرة عميقة:

—والآن...

لنبدأ من أول جدار.

على الكرسي المكسور... حين بدأ شمس يهدم الطفولة**

لم تكن الغرفة هي نفسها التي نام فيها الكاتب الليلة الماضية.

وكأن حضور شمس غيّر هندسة المكان،

أعاد ترتيب الهواء،

ووضع شيئًا غير مرئي فوق الأشياء.

جلس الكاتب أمام شمس،

يتأمله بصمت،

بين رغبة في الفهم ورغبة في الهروب.

أما شمس...

فكان ينظر إليه كما ينظر مربٍ إلى طفل لا يعرف أنه ما يزال طفلًا.

أشار شمس إلى الكرسي المكسور في زاوية الغرفة.

غبار خفيف فوقه،

وقدمٌ مائلة لا تحتمل وزن أحد.

وقال بنبرة خافتة:

–اجلس هناك.

تردد الكاتب وقال بسرعة:

–لكنه... مكسور.

ابتسم شمس،

ابتسامة جعلت الكاتب يشعر أن الإجابة ليست عن الكرسي أصلًا:

–أعرف.

وأريدك أن تجلس فوق كسرٍ يشبهك.

اقترب الكاتب ببطء،

جلس بخوف،

شعر بارتجاج خفيف تحت جسده.

الكرسي كان هشًا،

ومع ذلك...

لم ينكسر.

تمامًا كقلبه.

القاعدة الرابعة

اقترب شمس وجلس مقابله على الأرض،

ثم فتح الدفتر على القاعدة الرابعة:

«لا تصدّق دموع أحد... فالدموع وسيلة ضعفاء لإرباك الأقوياء.»

قرأها شمس بصوت واثق،

ثم أغمض عينيه قليلًا،

وقال:

–هذه ليست قاعدة...

هذه ذكرى.

رفع الكاتب رأسه بحدّة:

–ذكرى ماذا؟

فتح شمس عينيه ببطء:

–أول مرة رأيت فيها أحدهم يبكي أمامك.

ولم تستطع أن تفهم...

هل يبكي لأنه موجوع؟

أم لأنه أشعرك بالذنب؟

ومن يومها...

اتخذت قرارًا حادًا:

أن الدموع خدعة.

ثم سأل شمس سؤالًا جعل الكاتب يصمت:

–أتذكر من كانت تبكي؟

ارتجف جفن الكاتب.

لم يجب.

لم يكن بحاجة للجواب...

فشمس كان يعرف.

ابتسم شمس مجددًا:

–أمّك.

تسارع تنفّس الكاتب.

مدّ إصبعه نحو شمس محتجًا:

–هذا ليس صحيحًا!

لم أبنِ قاعدتي من بكاء أمي!

هزّ شمس رأسه برفق:

–لم تبنها من بكائها...

بل من خوفك من بكائها.

من عجزك.

من طفولتك التي شعرتَ فيها أن العالم أكبر منك،

وأنك عاجز عن إنقاذ أحد.

سكت الكاتب.

كانت الكلمات كأنها تدخل قلبه بلا إذن.

القاعدة الخامسة

شمس يقلب الصفحة

فتح الصفحة التالية وقرأ القاعدة الخامسة:

«لا تحبّ أحدًا بعمق... فالعمق مقبرة العلاقات.»

ضحك شمس ضحكة قصيرة:

–هذه القاعدة كتبتها في ليلة كلما أحببت فيها أكثر، خسرت أكثر.

قال الكاتب بعصبية:

–لأن الحب مؤذٍ!

اقترب شمس منه كمن يقترب من جرح:

–لا يا صاحبي...

الحب ليس مؤذيًا.

الذي يؤذي هو:

أنك تحبّ دون أن تعرف نفسك.

أنك تبحث في الآخرين عن شيء فقدته في داخلك.

أنك تطلب من غيرك أن يملأ فراغًا مقدسًا لا يجب أن يلمسه أحد.

ثم يضيف:

–العمق ليس مقبرة...

العمق حياة.

المقبرة هي السطحية التي جعلتك تظن أنك تحمي نفسك بالسّطح.

سكت الكاتب،

كأنه يريد أن يردّ،

لكن لا يجد الكلمات.

القاعدة السادسة... وتحوّل المكان

فتح شمس القاعدة التالية:

«ابتعد حين تشعر أنك تُعامَل كخيار...

فأنت تستحق أن تكون أولوية، أو لا تكون.»

هزّ شمس رأسه وقال:

–هذه القاعدة... جميلة.

لكنّها ناقصة.

رفع الكاتب حاجبه بدهشة:

–ناقصة؟!

قال شمس:

–أنت تستحق أن تكون أولوية،

نعم...

لكن ليس عند أحد.

بل عند نفسك أولًا.

ثم أشار إلى صدر الكاتب:

–مشكلتك يا صديقي أنك ابتعدت...

لكن ليس عن الآخرين.

ابتعدت عن نفسك.

قبل أن يفهم الكاتب المعنى،

تغيرت الغرفة فجأة.

اختفت الجدران.

اختفى السقف.

اختفى المكتب.

وجد نفسه يقف وسط ساحة ترابية قديمة،

معمار طفولته:

باب حديدي صدئ،

درج حجري،

وشجرة شاحبة عرفها منذ سنوات لم يعد يتذكر عددها.

قال الكاتب بصوت مرتعش:

–هذا...

–نعم،

قاطع شمس:

–هذا بيت طفولتك.

الطفل الذي هرب من العالم...

ما يزال مختبئًا هنا.

نظر الكاتب إلى المكان،

عيناه تمتلئان بالذاكرة.

القاعدة السابعة... والطفل الذي لم يكبر

فتح شمس الصفحة الأخيرة في هذا الجزء:

«لا تصدّق من يقول لك "أنا لن أرحل..."

الناس ترحل، مهما أقسمت.»

قال شمس:

–كتبتَ هذا بعد أول رحيل...

رحيل صدّقته.

رحيل تعلّقت به.

كان من الطبيعي أن يترك ندبة.

ثم أشار شمس إلى باب الطفولة الحديدي:

–هنا... حدث أول رحيل.

وهنا... بدأت أنت تبني قواعدك.

اقترب الكاتب من الباب،

راح يلمس الحديد بأطراف أصابعه

كما لو أنه يلمس قلبه القديم.

دمعة خفيفة سقطت من عينه دون أن يشعر.

اقترب شمس منه،

ووقف خلفه تمامًا،

ووضع يده الخفيفة على كتف الكاتب

وقال بصوت يشبه الهمس ويشبه الاعتراض:

–الناس لا ترحل عنك...

أنت من ترحل عن نفسك حين تخاف الفقد.

تنفّس الكاتب بعمق،

وشعر بشيء يتصدّع فيه.

شيء قديم...

أقدم من القواعد نفسها.

عاد المكان كما كان.

الكرسي المكسور.

الدفتر.

شمس أمامه.

قال شمس بنبرة هادئة وثابتة:

«اليوم هدمنا الجدار الأول...

جدار الطفولة المختبئة.»

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة:

«ومع كل جدار ينهدم...

سيظهر نور جديد فيك لم تكن تعرف أنه موجود.»

رفع الكاتب عينيه.

في داخله خوف...

وفي داخله فضول...

وفي داخله شيء يشبه بداية الشفاء.

أما شمس،

فقد نهض ببطء،

واتجه نحو النافذة،

وقال دون أن يلتفت:

«استعد...

غيداء قادمة.»

وساد الصمت.

ظهورغيداء... حين يكتشف الكاتب أنه لم يكن الضحية**

لم يكن الكاتب مستعدًا.

كان يظنّ أنه تجاوز كثيرًا...

الطفولة،

الخيبات،

الرحيل،

وحتى غيداء.

كان يظنّ أنها أصبحت مجرّد فصلٍ قديم في كتاب حياته،

فصلٌ خشن الورق،

مطويّ على عجل كي لا يلطّخ الفصول التي تليه.

لكن شمس...

لا يعرف فصولًا مغطاة.

يعرف الحقيقة فقط،

وينزع الغطاء عنها مهما كان ثقيلاً.

الساعة نفسها... لكن عالم مختلف

جلس الكاتب على الكرسي المكسور،

وهو لا يدري إن كان الخوف هو ما يحرك صدره

أم الفضول

أم الارتباك من حقيقة أنه ليس وحده.

كان شمس واقفًا عند النافذة،

يراقب شيئًا لا يراه الكاتب،

كأنه ينتظر شخصًا يعرف موعد قدومه بدقة.

قال شمس بصوت منخفض:

–كل روحٍ تؤلمك...

لا بد أن تلتقي بها من جديد.

ليس عقوبة،

بل فهمًا.

التفت إليه الكاتب:

–ومَن القادم؟

أجاب شمس بنبرة ثابتة:

–الحقيقة التي تهرب منها منذ سنوات...

ثم تلاشى كل شيء حولهما.

لم تعد الغرفة غرفة.

أصبح المكان شارعًا مسائيًا من شوارع المدينة القديمة،

واحة ضوءٍ أصفر،

وكأن الذاكرة نفسها استيقظت فجأة

وأمطرت تفاصيلها.

نظر الكاتب حوله ورأى...

نفس المصابيح القديمة،

نفس المتاجر الصغيرة التي عرفها في تلك السنوات،

بل وحتى ذلك المقهى البعيد

الذي كان يجلس فيه عندما كان يظن أنه مكسور.

ثم...

رآها.

غيداء.

لم تكن طيفًا هذه المرة،

بل ظهورًا حيًا،

واضحًا،

يسير بخطوات خفيفة،

وجسدها يمرّ كأن الهواء يتخلله.

كانت ترتدي فستانًا بسيطًا،

وشعرها مغطى بوشاح خفيف،

ووجهها يحمل تلك المسحة الحزينة

التي لم يلاحظها الكاتب يومًا.

شهق الكاتب دون إرادة منه.

تراجع خطوة.

كأن الماضي عاد يسير نحوه بلا استئذان.

قال شمس بهدوء:

–اقترب.

–لا...

قال الكاتب بخوف.

–أرجوك... لا.

–اقترب،

كرّر شمس،

–فالقلب لا يشفى وهو ينظر من بعيد.

لقاء لا يشبه اللقاء

اقترب الكاتب خطوة،

ثم خطوة أخرى.

غيداء كانت تنظر أمامها،

لا تراه.

وكأن الزمن يمشي في مساره القديم

والكاتب وحده خرج منه.

وقف أمامها تمامًا...

ونظر إلى عينيها.

عينيها لم تكونا كما تذكر.

كانتا تلمعان بحزن عميق،

حزن لم يرَه يومًا.

لم يسمح لنفسه أن يراه.

كان يرى وجعه فقط...

لا وجعها.

قال الكاتب، كأنه يخاطب شبحًا من روحه:

–لماذا كنتِ هكذا؟

–لماذا تركتِني؟

لم تجبه غيداء.

لكن الهواء تغيّر.

والسكون صار أكثر وضوحًا

كأن صمتها نفسه هو الجواب.

تقدّم شمس ووضع يده على كتف الكاتب برفق:

–اسأل نفسك أنت...

وليس هي.

قال الكاتب بحنق:

–لم أفعل لها شيئًا!

–بل فعلت،

ردّ شمس بهدوء.

–كسرت قلبها...

وأنت لا تعرف أنك كسرتَه.

شحب وجه الكاتب.

–أنا؟!

–نعم، أنت.

كشف الحقيقة

رفع شمس يده نحو غيداء.

وكأن الزمن تجمّد حولها.

ثم قال:

–غيداء لم تكن قوية كما ظننت...

كانت تتظاهر بالقوة كي لا تضيف عبئًا عليك.

كانت تحبّك بعمق،

وأنت كنت تهرب من العمق،

من خوف لا ذنب لها فيه.

اقترب شمس أكثر من الكاتب وقال بصوت خافت:

–أنت لم تكن ضحية يا صديقي...

كنتَ الطرفين معًا:

الذي يُحب بشراسة،

والذي يهرب بشراسة،

فيكسر من يحبّه دون قصد.

اهتزت شفاه الكاتب.

لم يجد شيئًا يقوله.

كأنه اكتشف خيانة لا يعرف هل ارتكبها أم اكتشفت أمامه للتو.

أشار شمس إلى غيداء:

—اسمع...

سأسمعك ما لم تسمعه يوم رحلت.

وفجأة...

تحرّك صوت ناعم،

كأنه صدى خرج من صدر غيداء لا من فمها:

«لم أرحل لأنني لا أحبك...

بل لأنك لا تحب نفسك،

وكنتَ تجرّني معك نحو نقطة سوداء لا أقدر على تحمّلها.»

ارتعش الكاتب.

دمعة ثقيلة نزلت عن خدّه دون أن يشعر.

«كنتُ أراك تنطفئ...

ومع كل انطفاءة،

تنطفئ معي مساحة صغيرة.»

كان الكاتب يظن أن جرحه الأكبر هو رحيل غيداء...

ولم يخطر بباله يومًا أنّه هو الجرح.

هو الطعنة التي لم تنتبه إليها إلا حين نزفت بصمت.

وقف شمس أمامه، لا يحمل تلك الابتسامة المطمئنة التي اعتادها.

كان وجهه هذه المرة صارمًا،

كأن الضوء نفسه قرر أن يقول الحقيقة بلا تردد.

قال الكاتب بصوت خافت، كأنه يهرب من نفسه:

–أنا... لم أخنها.

–لم أفعل شيئًا خاطئًا.

نظر إليه شمس طويلًا...

ثم قال جملة هزّت المكان كله:

–الخيانة ليست دائمًا علاقة...

أحيانًا تكون انسحابًا في اللحظة التي كان يجب أن تبقى فيها.

ارتبك الكاتب، شعر أن صدره يضيق.

كأن الهواء أصبح أثقل من أن يُتنفس.

ظهرت غيداء من جديد،

لا كذكرى... بل كحقيقة تقف بصلابة أمامه.

وكانت عيناها، كما رآهما الآن، تحملان جرحًا قديمًا لم يفهمه يومًا.

قال شمس وهو يتقدم خطوة نحو غيداء وكأنه يحميها من كلمات الكاتب:

–أنت لم تخنها بجسدك...

لكنّك خنت قلبها كلما اقتربت،

وخذلته كلما احتاجك.

رفعت غيداء نظرها نحو شمس،

وظهرت في عينيها راحة خفيفة...

كأنها أخيرًا ترى أحدًا يفهم ما صمتت عنه لسنوات.

قال الكاتب متألمًا:

–لم أفهم...

كنت تائها، خائفًا، ضائعًا...

قاطع شمس كلامه،

بنبرة تحمل شفقة... وغضبًا خفيفًا:

–وهي كانت صغيرة أيضًا،

لكنها رغم خوفها... منحتك كل شيء.

منحتك قلبًا نظيفًا،

وثقة نادرة،

ومساحة في روحها لم تمنحها لأحد.

ثم توقف،

ونظر إليه نظرة مباشرة، حادة،

كأنها سهم من النور:

–وأنت...

أخذت المساحة،

واعتدت النقاء،

ثم تركتها في الأسوأ لحظة تحتاجك فيها.

تجمّد الكاتب.

هذه الجملة أصابت شيئًا لم يكن يعرف أنه موجود.

اقتربت غيداء خطوة،

كأنها أخيرًا ستقول ما احتفظت به طويلًا داخل صدرها.

قالت بصوت يشبه الرحيق حين يتحول إلى سكين:

«كنتَ تترك يدي كلما اشتدت العاصفة...

وتعود حين تنتهي.

كنتَ تخاف أن أرى ضعفك،

ومع ذلك رأيتُه...

وأحببتُك رغم كل ما كان ينقصك.»

ارتجف الكاتب.

لم يكن يعلم أنها عرفت كل ذلك.

تابعت غيداء:

«كنتَ تخون وجودي معك حين تختار صمتك عليّ،

وتختار هروبك بدل مواجهتي،

وتختار نفسك...

في كل مرة كنا نحتاج أن نكون نحن.»

لم يعرف الكاتب ماذا يقول.

لم يجد أي دفاع.

نظر إلى شمس،

لكن شمس لم ينظر إليه هذه المرة.

كان واقفًا إلى جانب غيداء،

يحمل حقيقتها كما لو كان وصيًا عليها.

قال شمس بنبرة هادئة،

لكنها قاطعة كحدّ السيف:

–أنا لا أقف ضدك...

لكنني أقف مع الحقيقة.

وغيداء كانت الحقيقة التي هربت منها طويلًا.

سقط الكاتب على ركبتيه،

كأن وزن السنوات كلها هبط عليه دفعة واحدة.

فهم الآن لماذا كان يشعر بالضياع...

فهو لم يكن ضحية كما توهّم.

كان المذنب الذي لا يعرف جريمته.

مدّت غيداء يدها نحوه،

لا لتعيده،

ولا لتسامحه...

بل لتعلّمه آخر درس لم يفهمه يومًا:

«الحب يا... كان أمانة.

وأنت لم تحفظها.»

ثم سحبت يدها ببطء،

واختفت،

وتركت وراءها صمتًا يشبه نهاية موسم كامل من الألم.

أما شمس...

فوقف فوقه،

وقال:

–الآن فقط...

بدأت ترى نفسك كما هي.

لا كما كنتَ تقنع نفسك أنها.

وأضاف بعد لحظة صمت:

–وهذا... أول الطريق نحو النور.

ثم ساد الصمت من جديد.

وصدى الكلمات بقي يلمع حولهما كقطعنات نور.

ما بعد الاعتراف

اختفت صورة غيداء فجأة

كما ظهرت فجأة.

تلاشت في ضوء خفيف،

وغاب الشارع،

والمصابيح،

وعاد الكاتب إلى غرفته.

جلس على الأرض،

بينما شمس يقف خلفه،

مدّ يده على كتفه مرة أخرى.

قال شمس بصوت يليق بحكمة دائمة:

–كنتَ تظنّ أنك وحدك المجروح...

لكن الجرح لا يعرف جانبًا واحدًا.

هناك دائمًا قلبان ينزفان...

وقصة واحدة يرويها كل طرف من جهة واحدة.

نظر شمس إلى الدفتر،

ثم قال:

–هذه ليست قواعد كره...

بل محاولة منك لإنقاذ نفسك من نفسك.

أما الآن...

فقد حان وقت الحقيقة.

رفع الكاتب رأسه،

عيناه محمرّتان،

وصوته متكسّر:

–ماذا بعد؟

ابتسم شمس:

–بعد غيداء...

ننتقل إلى قلبك أنت.

إلى عمق القواعد.

إلى حيث تبدأ الرحلة الحقيقية.

ثم جلس أمامه

وقال:

–استعد...

القواعد القادمة أصعب من غيداء.

لأنها ليست عن الآخرين...

بل عنك.

الانهيار الأول... حين يبدأ الكاتب بمواجهة نفسه فعلًا

لم ينهض الكاتب من على الأرض.

بقي جالسًا كأن جذورًا خفية تربطه بالمكان،

وبصمتٍ يثقل صدره كأنه حجر لا يزيحه إلا اعترافٌ لم يولد بعد.

شمس ظلّ قريبًا منه،

ليس كمعلم،

ولا كقاضٍ،

بل كمرآة...

مرآة لا تسمح للمرء أن يكذب على نفسه.

بعد دقائق طويلة،

جلس شمس أمامه متربعًا،

ووضع الدفتر بينهما،

ثم قال:

–الليلة… نكمل الطريق.

لم تعد قادرًا على الهرب.

فما هدمناه اليوم سيعود إذا لم نبنِ شيئًا مكانه.

رفع الكاتب بصره بصعوبة:

–لا أظنني مستعدًا.

ردّ شمس:

–لم تكن مستعدًا لأي شيء حدث حتى الآن…

ومع ذلك حدث.

النضج ليس أن نستعد…

النضج أن لا نهرب حين يأتي الوقت.

القاعدة الثامنة

فتح شمس الدفتر على القاعدة الثامنة:

«لا تتوقع من أحد أن يعيد لك ما خسرته... فالخسارات لا تعوَّض.»

قرأها شمس ببطء،

كأنه يقرأ اعترافًا لا قاعدة.

وقال:

–هذه القاعدة تبدو صادقة.

لكنها قاصمة...

قاسية...

لأنها مكتوبة بنبرة رجل أنهكته الخسارة حتى ظنّ أن الفقد هو مصيره.

اقترب من الكاتب وسأله:

–هل تعرف لماذا كتبتها؟

لم يجب الكاتب.

ارتجفت أصابعه فوق الأرض.

–كتبتها لأنك فقدت نفسك...

ولم يمد أحدٌ يدًا تنتشلك.

فقلت في داخلك:

«لن يعيدني أحد... إذًا لا أحتاج أحدًا.»

هنا انكسرت آخر خيوط الصمود في الكاتب.

همس بصوت مبحوح:

–نعم...

كنت أبحث عن إنسان واحد فقط...

ليقول لي: "أنا هنا."

ربّت شمس على كتفه:

–لأنك لم تقلها لنفسك أولًا.

القاعدة التاسعة... جدار الإنكار

فتح شمس صفحة أخرى:

«الذي خذلك مرة سيخذلك ألف مرة.»

ضحك شمس بصوت يشبه الهزة الخفيفة:

–جميل...

لكن غير صحيح.

رفع الكاتب رأسه بغضب فجائي:

–بل صحيح!

نظر إليه شمس طويلًا،

ثم قال بثقة:

–يا صاحبي...

ليست المشكلة أن الآخر سيخذلك ألف مرة،

المشكلة أنك أنت

ستسمح له أن يخذلك ألف مرة

إذا لم تُصلح الجرحِ الذي جعلك تتمسّك به أصلًا.

صمت الكاتب.

كانت الكلمات تجرّد روحه كما يُجرَّد الشجر في الخريف من أوراقه.

لا ليُقتل...

بل ليبدأ.

–الخذلان يحدث مرة.

أما التكرار...

فهو قرارك أنت.

القاعدة العاشرة... وحقيقة اللوم

فتح شمس الصفحة التالية:

«لا تلُمْ أحدًا على الرحيل... فكلٌّ يبحث عن راحته.»

قال شمس:

–هذه القاعدة قريبة من الحقيقة...

لكنك استخدمتها بطريقة خاطئة.

رفع الكاتب حاجبًا:

–خاطئة؟!

كيف يرحل الناس ولا يكون اللوم عليهم؟

اقترب شمس منه حتى أصبحت وجوههما قريبة جدًا:

–لأن الرحيل ليس خطيئة.

الرحيل موقف.

وأحيانًا رحيلهم كان خلاصك...

لو أنك رأيته بنورٍ آخر.

ثم أكمل:

-المشكلة ليست في أن الناس تبحث عن راحتها،

المشكلة أنك أنت لم تبحث عن راحتك...

وتركتهم يحددون اتجاه حياتك.

تسللت الدموع إلى عيني الكاتب،

لكنها لم تسقط...

كانت تهتزّ فقط،

كأنها تسأل:

"هل أسمح لنفسي هذه المرة بالبكاء؟"

القاعدة الحادية عشرة: اختبار الانهيار

وقف شمس فجأة.

مدّ يده وسحب الكاتب ليقف.

–قم.

–لماذا؟

سأل الكاتب بتعب.

–لأن الجراح التي تُرى جالسة...

تظلّ جراحًا.

أما حين تقف،

تبدأ أن تكون بداية.

أخذ شمس الدفتر ورماه فوق الطاولة بقوة.

ارتدّ صدى الضربة في الغرفة.

–هذه القواعد يا صاحب...

لم تُكتب لتحميك.

بل لتحبس قلبك.

لتصبح أنت سجينًا...

وسجّانًا.

ثم اقترب من الكاتب،

أمسك جانبي وجهه بكلتا يديه،

وقال بحدة لم يسمعها الكاتب من قبل:

–حان وقت الانهيار.

انهَرْ...

دعْ كل ما بداخلك يسقط

حتى نرى ماذا سيبقى تحت الركام.

وهنا...

حدث شيء لم يتوقعه الكاتب.

انحنى،

ووضع يديه على ركبتيه،

وبدأ جسده يرتجف.

التقط أنفاسًا قصيرة،

ثم قصيرة أكثر،

حتى خرج صوت منه يشبه البكاء،

ثم صار بكاءً كاملًا.

شهقات ثقيلة،

غائرة،

بدت وكأنها تخرج من طفلٍ في داخله

كان يبكي منذ سنوات...

ولا أحد يسمعه.

وقف شمس خلفه،

ووضع يده على ظهره،

وقال بصوت منخفض:

–الآن... بدأنا.

القاعدة الثانية عشرة: ما بعد الانهيار

كان البكاء طويلًا،

لكن الكاتب شعر بشيء يتخفف في صدره،

شيء أسود كان يجلس فيه كضوءٍ محبوس.

وحين انتهى،

جلس على الأرض من جديد،

مرهقًا،

ومختلفًا.

جلس شمس أمامه

وقال بابتسامة خفيفة:

–هذا هو أول انتصار.

لا على الآخرين...

بل عليك أنت.

ثم أغلق الدفتر ببطء:

-غدًا نكمل.

لكن احذر...

سكت قليلًا ثم قال:

-كلما اقتربنا...

زاد الضوء.

وكلما زاد الضوء...

ظهرت الظلال الحقيقية.

رفع الكاتب نظره،

وعرف...

أنه لم يعد قادرًا على العودة كما كان.

الظلال التي لم يمتلك الكاتب شجاعة مواجهتها

لم ينم الكاتب تلك الليلة.

لم يكن ذلك بسبب الخوف،

ولا بسبب شمس،

ولا بسبب غيداء التي ظهرت له كحقيقة لا كذكرى.

كان السبب أعمق...

كان يشعر لأول مرة أن كل ما بناه من جدران

بدأ يتشقّق ببطء،

وأن العالم الذي صنعه حول قلبه

لم يعد حائطًا...

بل قفصًا.

ومع أول خيط ضوءٍ في الفجر،

ظهر شمس على كرسيّ النافذة

كما لو أنه كان هناك طوال الليل.

لا تعب في عينيه،

ولا أثر للوقت على وجهه.

قال شمس دون أن ينظر إليه:

–الليل كان معك...

كنتُ أسمعك.

جلس الكاتب بصمت،

لم يستطع أن يفهم هل يقصد بكاءه...

أم أفكاره...

أم روحه حين كانت تهبط وترتفع.

استدار شمس نحوه أخيرًا،

وقال:

–اليوم... سنبدأ مرحلة الظلال.

ولتعرف الظلال...

يجب أن تنظر إلى الضوء.

«أن تمنح أحدًا كلّك... يعني أن تخسر نفسك».**

فتح شمس الصفحة،

قرأ القاعدة،

ثم رفع عينيه نحو الكاتب:

–هذه القاعدة كتبتها بعد علاقة مرهقة...

لم تكن غيداء وحدها.

بل كانت سلسلة من الوجوه التي رأيتها بنورٍ معتم.

سأل الكاتب بقلق:

–ماذا تقصد؟

أشار شمس بيده إلى وسط الغرفة.

فبدأ المكان يظلم،

وتتشكل دائرة من ضباب.

ثم...

ظهر ظلّ رجل.

لم تتضح ملامحه.

لكن صوته خرج خافتًا:

–كنتَ تسامحني دائمًا...

وتمنحني مساحة أكبر من حقّي.

ثم تغضب حين أستغلها.

شهق الكاتب.

عرف الصوت.

عرف ظله.

عرف خيبته الأولى التي لم تكن حبًا،

بل صداقة أكلت منه أكثر مما يستحق.

قال شمس:

–أنت لم تخسر نفسك لأنك منحتها...

بل لأنك منحتها لمن لا يعرف معناها.

ومع جملة واحدة من شمس،

اختفى الظل.

«الاهتمام الزائد يُطفئ قيمتك**».

هنا تغيّر وجه الكاتب.

قال بغضب:

–هذه القاعدة صحيحة!

كم مرة اهتممت... وأُنطفئت؟

ضحك شمس:

–لأنك لم تهتمّ بالحب...

بل اهتممت بالخوف.

وما يُمنح من خوف... لا يُقدّر.

ثم ظهرت ظلّ فتاة هذه المرة.

كانت ملامحها أكثر وضوحًا.

تقف وتنظر إليه بعتاب صامت.

قال شمس:

–هذه لم تقلل من قيمتك...

أنت من قللت من قيمة نفسك حين ظننت أن الاهتمام ضعف.

اختفت الظلة...

وبقي صدى كلام شمس يعيد تشكيل قلب الكاتب.

القاعدة الثالثة عشرة

«لا تنتظر الوفاء... فالبشر يتغيرون**».

أغلق شمس الدفتر قليلًا،

وكأنه يريد أن يستعد لشيء أثقل.

–هذه القاعدة...

هي أكثر قاعدة كذبتَ فيها على نفسك.

تراجع الكاتب خطوة:

–ماذا؟!

–أنت لم تتألّم من تغيّر الآخرين...

بل من تغيّرك أمامهم.

كنت تهرب،

ثم تقول إنهم تغيّروا...

لتخفي حقيقة أنك لم تواجه أحدًا أصلًا.

ثم ظهر ظلّ ثالث...

كان أقرب،

أكثر حزنًا،

لكن صوته خرج واضحًا هذه المرة:

–لم أتركك يومًا...

أنت من أغلقت الباب بوجهي.

تجمد الكاتب.

عرف الظل...

صديق آخر،

قريب جدًا،

تركه الكاتب لأنه خاف أن يخسره لاحقًا.

قال شمس:

–الخوف من الفقد...

يصنع الفقد.

القاعدة الرابعة عشرة

«القلوب لا تشفى... بل تتعوّد**«.

هنا هزّ شمس رأسه بحزم:

–هذه القاعدة ظلمٌ كبير.

القلوب تشفى...

إذا واجهت نفسها.

التعوّد ليس شفاءً؛

التعوّد موت بطيء.

ثم ظهرت ظلال كثيرة...

وجوهٌ يعرفها الكاتب

وأخرى نسيها

وأخرى طردها

وأخرى تشبث بها حد الاختناق.

قال شمس:

-كل هذه الظلال لم تكن عليك...

كانت *منك*.

كل واحد منهم هو جزء منك...

تركتَه معلّقًا.

ومع كلمة «معلّقًا»،

اختفت الظلال كلّها.

القاعدة الخامسة عشرة

«لا تبحث عن closure... النهاية لا تكتمل**».

نظر شمس إلى الكاتب طويلًا،

ثم قال:

–هذه القاعدة كتبتها بعد غيداء.

بعد رحيلها،

ظننت أن النهاية يجب أن تأتي من الخارج...

كلمة،

اعتذار،

تفسير.

ثم اقترب شمس ووضع يده على صدر الكاتب:

–النهاية تأتي من هنا...

من داخلك.

Closure ليست كلمة...

هي فهم.

فهمُ أنك أخطأت...

وفهمُ أنها أخطأت...

وفهمُ أنكما كنتم بشرًا.

سكت الكاتب،

ثم قال بصوت مكسور:

–أشعر أني أريد أن أنهار مجددًا.

ابتسم شمس:

–انهيارٌ آخر...

يعني جدارٌ آخر يسقط.

لكن هذه المرة...

لن تبكي فقط.

ستواجه نفسك.

ثم لوّح شمس بيده،

فانطفأت الغرفة كلها،

وبقي فقط نور صغير فوق الكاتب.

وقال شمس:

–الآن...

دخلنا أعمق نقطة.

مناظرة النور... حين كشف شمس للكاتب سرَّ لقائه الأول بالرومي

لم تعد الغرفة تبدو غرفة.

صارت أكثر اتساعًا،

وكأن الجدران لم تعد قادرة على احتواء ما يحدث داخل الكاتب.

شمس جلس على الأرض،

عيناه ثابتتان،

ملامحه أكثر هدوءًا من أي وقت مضى،

كأنه يستعدّ لفتح بابٍ لم يُفتح منذ قرون.

اقترب الكاتب،

جلس مقابله،

وقال بصوت خافت:

–قلتَ لي إنك فتحت قلب رجلٍ قبلي...

رجل اسمه جلال الدين الرومي.

وأردت أن أعرف... كيف؟

ابتسم شمس،

ابتسامة خفيفة،

لا تحمل فخرًا ولا أسطورة...

بل تحمل ذكرى،

ذكرى نارٍ قديمة.

وقال:

–سأخبرك عن اليوم الذي التقيتُ فيه بالرومي...

وعن أول مناظرة بيننا.

لأن ما فعله ذلك اللقاء فيه...

يشبه ما أفعله الآن فيك.

لقاء في قونية

تغيّر الهواء حولهما.

تغيّرت الأرض.

اختفت الجدران،

واستُبدلت بساحة حجرية واسعة

تفوح منها رائحة تراب خريفي

وضوء غروبٍ ذهبيّ يلامس الحجر مثل لمسة أبٍ على كتف طفل.

وقف الكاتب وسط الساحة، مذهولًا.

ثم رأى رجلًا ضخمًا،

وقورًا،

ذا لحية قصيرة،

وعينين تحملان حزنًا لا يراه إلا من عرف الحب،

وهيبة لا يلمسها إلا من عرف الله.

قال شمس بصوت خافت:

–هذا... جلال الدين.

التفت الرومي نحو شمس،

كأنه شعر بمروره.

لم يكن يعرفه،

ولا يعرف من أين جاء،

لكن العيون تعرف بعضها قبل الأسماء.

اقترب الرومي من شمس وقال:

–من أنت؟

ردّ شمس:

–أنا الرجل الذي سيأخذك من نفسك...

ويعيدك إلى نفسك.

ارتبك الكاتب.

لكن الرومي قال بهدوء:

–وهل أحتاج أن آخذ؟

إن الله هو الذي يمنح.

اقترب شمس خطوة،

ونظر في عيني الرومي بعمق:

–الله يمنح...

لكن أنت تخاف أن تأخذ.

ساد صمت ثقيل.

لم يجرؤ أحد في قونية كلها

أن يقول هذا لجلال الدين،

العالم،

الفقيه،

المُدرّس،

مَن يحفظ الكتب ويحفظه الناس.

لكن الرومي...

لم يغضب.

أحس النار.

النار التي لم يشعر بها منذ سنوات.

المناظرة الأولى

جلس الاثنان على سجادة بسيطة.

وجلس الكاتب قريبًا منهما،

بل كان يرى الحوار

كما لو أنه يحدث في نفسِه،

لا أمامه.

قال الرومي:

–حدّثني يا شمس...

ما الذي جئت تبحث عنه؟

–لم آتِ لأبحث،

قال شمس.

–بل جئتُ لأُخرج ما فيك.

أنت ممتلئ...

لكنك لا تعرف بما أنت ممتلئ.

ابتسم الرومي بسخرية لطيفة:

–أنا ممتلئ بالله يا شمس.

هنا اقترب شمس منه،

وقال بصوت منخفض،

كأنه سرّ:

–أنت ممتلئ بالله في كتبك...

لكن قلبك خاوي من ناره.

شهق الكاتب.

حتى هو شعر بحدّة الجملة.

أما الرومي...

فلم يغضب.

بل أطرق رأسه قليلًا،

كمن يعرف أن سهمًا صادقًا أصابه.

قال الرومي:

–وما هي النار التي تدّعي أني لا أعرفها؟

قال شمس:

–أن تحب الله كما تحب المحبوب...

أن تبحث عنه كما يبحث الطفل عن أمّه...

أن تراه في كل شيء

حتى لو كان الشيء ظلمةً أو خسارةً أو إنسانًا كسر قلبك.

ثم تحرّك شمس بسرعة

ووضع راحة يده على صدر الرومي:

–أن تحب...

حتى ترى الله في حبك.

شعر الكاتب بقشعريرة.

غرق المكان في صمتٍ عميق.

قال الرومي بارتباك:

–ومن علّمك هذا؟

أجاب شمس:

–الله...

ثم قلبي...

ثم الحياة حين كسرتني.

والآن جئتُ لأكسر قشرتك...

فتولد روحك.

المشهد الثالث: الاهتزاز

اقترب شمس أكثر،

وقال للرومي:

–يا جلال...

أنت تخاف.

تخاف من الحب.

وتخاف أن يراك الناس ضعيفًا،

وتخاف أن تفقد ما بنيته.

لكن لا شيء يُفقد.

والله لا يُفقد.

الذي يُفقد...

هو وهمك فقط.

رفع الرومي عينيه،

وقال بصوت متردد:

–وماذا تريد مني؟

قال شمس بابتسامة:

–أريدك أن تحب...

أن تحب الله

كما لم يحبّه أحد.

أن تدور.

أن تكتب.

أن تبكي.

أن تحترق.

أن تصير شعرًا يمشي في الأرض.

شهق الكاتب...

كأنه يسمع بداية مولد الرومي الصوفي.

أما الرومي،

فقال بصوت خافت:

–ولماذا أنا؟

لماذا اخترتني أنت؟

هناك علماء أكثر،

وطلاب أكثر،

وقلوب أكثر...

ضحك شمس ضحكة قصيرة:

–اخترتك لأن نارك تشبه ناري.

ولأن الحياة لم تكسرك بعد بالشكل الذي تحتاجه.

ولأن قلبك...

أوسع بكثير مما تتصور.

ثم نظر إليه طويلًا وقال:

–ولأن الله أراد.

سقوط الجدار الأول

فجأة...

بكى الرومي.

بكى الرجل الذي لم يبكه الناس قط.

كان بكاءً صامتًا،

لكنّه مزلزل.

اقترب شمس منه،

ووضع يده على رأسه:

–الآن فقط... بدأت.

الروح لا تولد إلا في اللحظة التي يبكي فيها القلب

لا من ضعف...

بل من صدق.

نظر الكاتب إلى المشهد

وعيناه تمتلآن بالدهشة.

ثم شعر بيد شمس على كتفه،

تسحبه من الرؤيا،

وتعيده إلى الغرفة.

عاد كل شيء كما كان.

الغرفة.

الهواء.

الضياء الصامت.

جلس الكاتب مدهوشًا:

–هل كان كل هذا... حقيقيًا؟

قال شمس:

–الحقيقة ليست ما تراه العيون يا صاحبي...

الحقيقة ما يهزّ قلبك حين تراه.

وأنت...

اهتزّ قلبك.

اقترب شمس،

جلس أمامه وقال:

–كما فتحت قلب الرومي...

سأفتح قلبك.

لكن طريقك أصعب من طريقه...

لأن الرومي كان يبحث عن الله،

وأنت تبحث عن نفسك.

حين يضع شمس مرآته أمام الكاتب

لم يكن الكاتب قد خرج بعد من صدمة لقائه بشمس والرومي.

كان المشهد لا يزال يحترق في ذاكرته

كنارٍ صغيرة تتسع كلما حاول تجاهلها.

رأى الرومي،

رأى بكاءه،

رأى انكساره أمام رجلٍ لم يعرفه قبل ساعات.

وها هو الآن...

يجلس أمام شمس،

الرجل الذي لا يطرق بابًا كي يدخل،

ولا يطلب إذنًا كي يفتح قلب أحد.

قال شمس وهو ينظر إليه كعادته،

نظرة تعرفه أكثر مما يعرف نفسه:

–رأيتَ الرومي...

فهل فهمت لماذا جئتُك أنت أيضًا؟

ابتلع الكاتب ريقه:

–لا أعرف بعد.

ابتسم شمس:

–ستعرف الآن.

مرآة مفتوحة

مدّ شمس يده نحو الكاتب،

ليس ليعطيه شيئًا،

بل ليأخذ منه شيئًا...

خوفًا ربما،

أو قناعًا،

أو جدارًا لا يزال واقفًا.

فجأة...

تحول الهواء بينهما إلى مرآة كبيرة،

لكنها لم تعكس وجه الكاتب،

بل عكست حياته.

رأى نفسه طفلًا،

صاحب قلب يركض أكثر مما يمشي.

رأى نفسه شابًا،

يمدّ يده دائمًا نحو الآخرين

ويخاف أن يمدّ أحد يده نحوه.

رأى نفسه يهرب من الحب حين يخاف الفقد.

ورأى نفسه يضحك ليخفي الألم.

يكتب ليهرب.

يكره ليحمي نفسه.

قال شمس:

–هذه حياتك.

وهذه ليست مشكلة.

المشكلة أنك تعتقد أن هذه النهاية.

تنفس الكاتب باضطراب:

–هذه نهايتي فعلًا...

كل ما بعد هذا لا يشبهني.

اقترب شمس،

ووضع يده على المرآة:

–لا يا صاحبي...

هذه بدايتك.

القلب لا ينتهي بخسارة،

بل يبدأ بخسارة.

السؤال الذي تهرب منه دائمًا

جلس شمس على الأرض،

وأشار للكاتب أن يجلس أمامه.

–اسمع...

الرومي كان يبحث عن الله،

وأنا نزعت عنه كل يقينٍ لم ينضج بعد.

أما أنت...

فأنت لا تبحث عن الله.

أنت تبحث عن شيء آخر.

ارتجف صوت الكاتب:

–عن ماذا؟

حدّق شمس فيه طويلًا...

طويلًا جدًا...

حتى شعر الكاتب كأن كل أسراره خرجت بين عينيه.

ثم قال:

–أنت تبحث عمّن يحبّك...

دون أن تحتاج لتخفي ظلك.

سقطت الكلمات عليه كصاعقة.

لم يستطع الرد.

لم يجرؤ.

كأن أحدًا قال له الحقيقة التي كان يدفنها منذ عشرين عامًا.

كرر شمس:

–أنت لا تريد حبًا عظيمًا...

بل حبًا آمنًا.

حبًا لا يتركك.

ولا يعرّيك.

ولا يطلب منك أن تكون منقذًا أو بطلًا أو قويًا دائمًا.

تريد من يحتضن خوفك كما يحتضن قوتك.

انفجرت دمعة صغيرة من عين الكاتب،

كأن حاجزًا داخليًا انكسر أخيرًا.

المناظرة

قال الكاتب وهو يمسح وجهه:

–وإن كان هذا صحيحًا...

فما المشكلة؟

أليس من حقي أن أُحب ويُحبَّني أحد؟

ابتسم شمس ابتسامة واسعة،

كما لو أن هذا السؤال هو الباب الذي كان ينتظره:

–بلى...

لك حق.

لكن هناك فرق كبير بين:

من يبحث عن الحب

ومن يبحث عمّن يشبه أباه أو أمه أو خيبته الأولى.

تجمد الكاتب.

قال بصوت خافت:

–ماذا تقصد؟

اقترب شمس منه أكثر:

–أنت...

لم تبحث يومًا عن الحب.

أنت تبحث عن من يرمِّم الطفل الذي بداخلك.

وهذا ليس حبًا...

هذا علاج مؤجل.

سكت الكاتب.

ثم قال شمس:

–تريد الحقيقة؟

لقد أحببتَ ناسًا،

ليس لأنهم أحبّوك...

بل لأنهم جرحوك بالطريقة التي تعرفها.

وجرحٌ يشبه جرحك...

يبدو مألوفًا،

والمألوف...

يشبه الحب.

غرزت الكلمات في أعماقه بقوة.

كما لو أن روحه نفسها صرخت:

«نعم... هذا أنا.»

المشهد الرابع: المقارنة بالرومي

أشار شمس بيده،

فتحولت الغرفة إلى الساحة القديمة من جديد.

ظهر الرومي وشمس في أول أيامهما،

في مناظرة قونية الأولى.

الرومي كان مضطربًا،

غاضبًا،

مرتبكًا،

مكشوفًا.

قال شمس للكاتب وهو يشير إلى المشهد:

–الرومي خاف مني...

ليس لأنني كنت ناري،

بل لأنه رأى نفسه أمامي.

وأنت تخاف مني لنفس السبب.

ثم التفت إلى الكاتب:

–لكن الفرق بينك وبينه...

أن الرومي عندما رأى نفسه، احترق.

أما أنت...

عندما ترى نفسك، تهرب.

ابتلع الكاتب غصته.

قال بشبه انهيار:

–لأنني أخاف أن لا أُحتمل!

هتف شمس بصوت عميق:

–ومن قال لك إنك يجب أن تُحتمل؟

أنت لست عبئًا...

أنت إنسان.

خطوطٌ ممتدة من خوف وأمل،

من شجاعة وإنكسار،

من ذكرى وضوء.

لم تُخلق ليحتملك أحد،

بل لتفهمك أنت.

المشهد الخامس: السقوط الذي يقود للولادة

اقترب شمس،

جلس أمام الكاتب مباشرة،

ووضع أصابعه على يد الكاتب،

لا أكثر.

—اسمعني جيدًا:

أنت تبحث عن حبٍّ لم يمنحه لك أحد...

لأنك لم تمنحه لنفسك.

والحبّ الذي يأتي من الخارج

لن يملأ حفرةً في الداخل.

ثم قال الجملة التي هزّت الكاتب من جذره:

–لن يحبّك أحد كما تحبّ نفسك...

إن أحببتها أولًا.

سقط الكاتب على ركبتيه.

لم يبكِ هذه المرة.

بل شعر كأن قوةً جديدة تتحرك فيه،

قوة تجمع بين ألم وولادة.

وضع شمس يده على رأسه وقال:

–الآن...

بدأت الرحلة الحقيقية.

ثم ابتسم:

–والآن...

حان وقت القواعد

القواعد التي كتبتها ليس عن الآخرين...

بل عنك.

**الفصل الحادي عشر

حين يواجه الكاتب نفسه كرجل... لا كطفلٍ مجروح**

لم يكن الكاتب يشعر بالثقل هذه المرة.

كان يشعر بشيء جديد...

شيء يشبه الهواء بعد المطر،

خفيفًا،

لكنّه يحمل رائحة التغيير.

جلس على الأرض،

والدفتر مفتوح أمامه.

كان يعرف أن القادم أصعب،

لكن الأصعب هذه المرة لم يعد مخيفًا كما كان.

كان يشبه طريقًا مظلمًا

لكنه أخيرًا يمسك في يده شعلةً صغيرة.

أما شمس...

فقد جلس أمامه بابتسامة تحمل مزيجًا من الرضا والترقّب.

كأنه يرى الشجرة قبل أن تُثمر،

ويرى الشفاء قبل أن يولد.

قال شمس بهدوءٍ مطمئن:

–القواعد التالية...

لم تكتبها بسبب الآخرين.

كتبتها لأنك كنت تختبئ من نفسك.

والآن...

لن تختبئ بعدها.

القاعدة السادسة عشرة

«لا أحد يراك حقًا... الناس ترى ما تريد أن تراه فقط**».

قرأ شمس القاعدة بصوت خافت،

ثم رفع رأسه نحو الكاتب:

–هذه القاعدة لم تجعل قلبك أقوى...

بل جعلتك تعيش كظلّ.

إذا كنت تعتقد أن لا أحد يراك...

فلماذا تتوقع أن يحبك أحد؟

سكت الكاتب.

كانت الجملة تصيبه كما يجب.

قال شمس:

–الحقيقة يا صاحبي...

أن الناس كانت تراك.

لكنّك كنتَ تخاف أن يروا الجزء الذي لا تحبه في نفسك.

كنتَ تختبئ خلف كلماتك،

نجاحاتك،

ضحكاتك،

قواعدك.

ثم قال شمس بنبرة أعمق:

–الذي لا يرى نفسه...

لا يستطيع أن يراه أحد.

شعر الكاتب وكأن جملة شمس موجّهة إلى عمقٍ لم يعرفه من قبل.

**

القاعدة السابعة عشرة

«لا تثق بأحد ثقةً مطلقة... فالمطلقات ليست للبشر**».

ابتسم شمس ابتسامة خفيفة:

–هنا كنت محقًا...

ولكنك فهمتها خطأ.

رفع الكاتب حاجبه:

–كيف؟

قال شمس:

–الثقة المطلقة ليست خطأ...

لكن توجيهها للبشر هو الخطأ.

المطلق لله،

للسماء،

للرحمة.

أما البشر...

فتثق بهم قدر طاقتهم،

لا قدر طاقتك.

ثم اقترب شمس وقال:

-مشكلتك ليست أن الناس خذلوك...

مشكلتك أنك منحتهم ثقة أكبر من حجمهم.

لا لأنهم يستحقون،

بل لأنك كنت تبحث عن يقين في مكانٍ لا يقيم فيه اليقين.

شعر الكاتب أن فهمه للقواعد يتغير تحت يدي شمس

كما يتغير الحديد في النار.

القاعدة الثامنة عشرة

«لا تقاتل لأجل علاقة... القتال يقتل الحب»**.**

هنا قال شمس جملة مفاجئة:

–هذه القاعدة جميلة...

لكنها خاطئة تمامًا.

تفاجأ الكاتب:

–خاطئة؟!

كنت أقاتل من طرف واحد دائمًا...

والنهاية كانت الخسارة.

هزّ شمس رأسه:

–ليس لأن القتال خطأ...

بل لأنك كنت تقاتل من أجل ألا تخسر،

لا من أجل أن تحب.

ثم أضاف:

-الحب يحتاج القتال أحيانًا...

القتال الناضج.

القتال الذي يفتح قلبين،

لا يجرحِ قلبًا واحدًا.

اقترب شمس منهم وقال:

-أنت ظننت أن أي جهد في الحب إهانة...

فأهملت كل علاقة حين احتاجت أن تقف،

وتتمسّك،

وتقاوم.

كان هذا الكلام يقطع الكاتب من الداخل

لكن بطريقة تجعله ينضج،

لا ينكسر.

القاعدة التاسعة عشرة

«أكذب على نفسك مرة... تنكسر ثقتك بنفسك ألف مرة».**

ابتسم شمس:

–هذه القاعدة...

هي أصدق قاعدة كتبتها.

لكنّك لم تتبعها يومًا.

تجمّد الكاتب.

سأل:

–كيف؟

قال شمس:

–كذبت على نفسك حين قلت إنك لا تحتاج أحدًا.

كذبت حين رميت الماضي دون أن تفهمه.

كذبت حين تصنّعت القوة،

وحين زعمت أن القسوة حكمة،

وحين قلت إن الكره حماية.

ثم اقترب ووضع إصبعه على قلب الكاتب:

–الكذب على الآخرين أمر بسيط...

لكن أصعب كذبة في حياتك

كانت حين أقنعت نفسك أنك لست جديرًا بالحب.

هنا انهارت الكلمة على الكاتب انهيارًا صامتًا.

كانت حقيقة يعرفها،

لكنه لم يمتلك الشجاعة ليقولها حتى لنفسه.

القاعدة العشرون

«لا تنتظر من نفسك أن تكون بخير دائمًا... فالبشر موج».**

أغلق شمس الدفتر بعد أن قرأ القاعدة،

ونظر إلى الكاتب نظرة تشبه حضنًا دون لمس.

–هذه...

أول قاعدة كتبتها بعقلٍ راشد،

وليس بقلبٍ مكسور.

الموج يرتفع...

ويهدأ...

وينكسر...

ويعود.

ثم وضع شمس يديه على كتف الكاتب وقال:

–أنت لست نسخة ثابتة.

أنت موج،

وطريق،

وتغيّر،

ولا يجب أن تكره نفسك حين تنخفض.

فانخفاض الموجِ

لا يعني أنه مات...

بل يعني أنه يستعد ليعود أقوى.

سقطت دمعة من عين الكاتب.

لكنها لم تكن دمعة ألم.

كانت دمعة اعتراف...

وفهم...

وشيء يشبه القبول.

بداية الهدوء

جلس شمس في وسط الغرفة،

وقال بصوتٍ هادئ،

كأنه يختم مرحلة ويبدأ أخرى:

–الآن انتهت مرحلة الظلال...

وسنبدأ مرحلة النور.

سنبدأ القواعد التي لا تتحدث عن الوجع،

ولا عن الخسارة،

بل عن المعنى.

ثم قال:

–وعندها...

سأخبرك كيف غيّرني الرومي أنا أيضًا.

وليس كما تظن أنت أنني كنت المعلّم وحدي.

تنفّس الكاتب ببطء،

وشعر لأول مرة منذ سنين

أنه ليس متعبًا...

بل مستعدًا.

مستعدًا لما هو أعمق،

وأحبّ،

وأصدق

حين اعترف شمس... أن الرومي كان مرآته أيضًا

كانت الغرفة ساكنة،

لكن السكون لم يكن فراغًا...

بل امتلاء.

امتلاء بشيء يشبه الطمأنينة

التي لا تأتي إلا بعد اعترافٍ صادق،

أو فهمٍ تأخّر وصوله سنوات.

جلس الكاتب قرب شمس،

شبه مطمئن،

شبه خائف،

لكنه لم يعد خائفًا من الخوف نفسه.

وهذا وحده...

كان انتصارًا صغيرًا.

فتح شمس الدفتر،

ثم أغلقه دون أن يقرأ.

ووضع يده فوق الغلاف كأنه يربّت على شيءٍ انتهت مهمته مؤقتًا.

قال شمس بصوتٍ منخفض:

–الآن...

حان الوقت أن تعرف شيئًا مهمًا عني.

شيئًا لا يعرفه الناس الذين كتبوا عنّي،

ولا الذين ظنّوا أنني معلّم لا يتغير...

أنا أيضًا كنتُ تلميذًا.

رفع الكاتب نظره بدهشة طفيفة:

–تلميذًا؟

أنت؟

ابتسم شمس...

ابتسامة صغيرة،

لكنها حملت سنينًا من الاعتراف:

–نعم.

تلميذًا للرومي.

المشهد الأول: كيف غيّر الرومي شمس

اختفى سقف الغرفة فجأة،

وتحوّل المكان إلى سماءٍ واسعة،

بلا حدود،

كأنهما يجلسان في قلب الكون نفسه.

ظهر الرومي مرة أخرى،

لكن ليس كما في اللقاء الأول.

كان مختلفًا...

أهدأ،

أعمق،

وفي عينيه نور يشبه من عرف السرّ وذرفه.

قال شمس وهو ينظر إلى صورته وصورة الرومي:

–حين التقيتُ الرومي،

كنتُ نارًا بلا شكل.

نارًا تكسر...

لا تُرمّم.

كانت رسالتي أن أهزّ قلوب الناس

لتنمو من جديد،

لكن الرومي...

هزّ قلبي أنا.

سأل الكاتب بصوت متردد:

–كيف؟

قال شمس:

–بقبوله.

الرومي كان أول رجلٍ لم يخَف ناري،

لم ينفر منها،

لم يحاول إطفاءها،

ولم يعبدها أيضًا.

وقف أمامي...

كما يقف الشجر أمام الريح:

لا يهرب...

لكنّه ينحني بخفة.

ثم تابع شمس:

–علّمني الرومي أن النار ليست دائمًا للدمار...

أحيانًا تكون للدفء.

وأحيانًا تكون للضوء.

وأحيانًا تكون الطريق الوحيد لكي تفتح الأرض صدرها للربيع.

كانت كلمات شمس تجعل الكاتب يشعر بأن النار التي خافها في داخله

قد تكون شيئاً آخر...

شيئًا أجمل.

المشهد الثاني: اللحظة التي غيّرت شمس

تغيّر المشهد أمامهما.

أصبحا في غرفة بسيطة،

يدخلها ضوء الشمس من نافذة صغيرة.

كان الرومي يجلس على الأرض،

يكتب...

كتبًا كثيرة.

كلمات تتناثر حوله كأوراق ريح

تعرف إلى أين تذهب.

اقترب شمس منه،

ووضع يده فوق الورقة.

رفع الرومي رأسه،

ابتسم ابتسامة نقية:

–أنت تأتي كي تعلّم...

لكن حضورك علّمني أن أحب الله بطريقة لم أعرفها.

سأله شمس بدهشة صدق:

–وكيف أحببته؟

قال الرومي:

–عندما رأيته فيك.

اهتز الكاتب حين سمع هذا.

كأن جملة الرومي لم تكن لشمس...

بل له أيضًا.

كأن الحب عندما يكون صادقًا

يُري الإنسان نورًا في الآخر

لم يكن يعرفه في نفسه.

قال شمس بصوت يشبه الرجفة:

–هذه الجملة...

كسرتني.

ثم رممتني.

ثم غيرتني للأبد.

المشهد الثالث: نار تهدأ لأول مرة

جلس شمس على الأرض،

والصورة حولهما تتلاشى،

تعود الغرفة كما كانت.

قال شمس:

–كنتُ أظن أن مهمتي أن أغيّر الآخرين...

لكن الرومي جعلني أرى نفسي.

جعلني أدرك أن النار التي كانت تحرقني

يمكن أن تصبح نورًا لغيري...

إذا سامحت نفسي أولًا.

سأل الكاتب بفضول خجول:

–وهل سامحت نفسك؟

ابتسم شمس بطريقة غريبة...

ابتسامة فيها ألمٌ قديم

وفرحٌ مكتوم:

-سامحت نفسي على ناري...

على دفعي الناس للسقوط لكي يصعدوا،

على قسوتي التي كانت حبًا،

وعلى طريقي الذي لم يفهمه أحد.

وسامحت نفسي...

على أنني احتجت للرومي كي أفهم هذا كله.

ثم قال شمس بعمق:

-كل معلّم يحتاج من يعلمه...

كل قلب يحتاج من يهزّه...

كل نار تحتاج من يرشدها كي لا تحرق نفسها.

المشهد الرابع: انعكاس الدرس على الكاتب

اقترب شمس من الكاتب،

جلس أمامه،

وقال:

–ما حدث مع الرومي...

يحدث معك.

أنا لست هنا لأغيّرك فقط.

أنا هنا...

لأراك.

وأتعلم منك أيضًا.

تجمد الكاتب:

–تتعلّم مني؟!

ما الذي يمكن أن أعلّمك إياه؟

ابتسم شمس:

–صدق الشعور.

الصراخ الداخلي.

البكاء المؤجل.

هشاشتك...

تعلمّني لطفًا.

واللطف...

أقوى من النار.

ثم تابع:

–أنت مثل الرومي...

لا تعرف قوتك بعد.

تظن نفسك مكسورًا...

لكنّك في الحقيقة

في مرحلة الخَلق.

المشهد الأخير: استعداد لما هو أعظم

أغلق شمس الدفتر،

ووضعه بينهما،

وقال بصوت عميق يشبه إعلان بداية فصل جديد:

–الآن...

سنبدأ القواعد من 21 إلى 30.

هذه القواعد ليست للبكاء،

ولا للخسارة،

ولا للطفل الذي جُرح.

هذه القواعد لرجلك الذي بدأ يولد.

ابتسم الكاتب،

ابتسامة صغيرة جدًا...

لكنها حقيقية.

وقال:

–أنا جاهز.

ابتسم شمس بدوره:

–وأنا أيضًا.

**الفصل الثالث عشر

حين تبدأ الحكمة... بعد أن يهدأ الوجع**

لم تكن الغرفة كما كانت.

كل شيء فيها بدا أكثر نورًا،

كأن شمس قد فتح نافذةً جديدة في قلب الكاتب،

نافذة يدخل منها الضوء

لا ليكشف الغبار،

بل ليكشف الطريق.

جلس الكاتب أمام شمس

من دون ذلك الدفاع القديم،

ومن دون ذاك الحذر الذي كان يحرك كتفيه

كلما دخل في حديث صادق.

كان الآن يجلس كما لم يجلس منذ زمن طويل:

مكشوفًا،

لكن غير خائف.

ضعيفًا،

لكن ليس مُهانًا.

قريبًا...

من نفسه.

وضع شمس الدفتر بينهما،

وفتحه على صفحة جديدة غير ممزقة بالماضي،

وقال:

–القواعد التي سنقرأها الآن

كتبتها يوم كنت تظن أنك ناضج...

لكن الحقيقة

أنك كنت بحاجة أن تنضج كي تفهمها.

ابتسم الكاتب ابتسامة صغيرة:

–وهل سأفهمها اليوم؟

أجاب شمس بثقة:

–ستفهمها...

وستتجاوزها.

القاعدة الحادية والعشرون

«لا تطلب من أحد أن يفهمك... الفهم هدية، لا واجب**».

قرأ شمس القاعدة ثم رفع عينيه:

–هذه القاعدة...

كتبتها يوم شعرت بأن العالم يعاندك،

وأن الناس لا تبذل جهدًا لتعرفك.

لكنك كنت تطلب منهم أن يفهموك

قبل أن تفهم أنت نفسك.

تنفس الكاتب بعمق،

وقال:

–كنتُ غاضبًا...

كنتُ أريد أحدًا يسمعني.

هزّ شمس رأسه:

–والآن؟

هل تحتاج أن يفهمك أحد؟

فكر الكاتب قليلًا ثم قال:

–لا...

أحتاج فقط أن أكون واضحًا مع نفسي.

ابتسم شمس برضا:

–وهذا هو الفهم الحقيقي.

القاعدة الثانية والعشرون

«لا تتوقع من الآخرين أن يحبوك بالطريقة التي تتخيلها**».

قال شمس:

–هنا كتبتَ حكمة...

لكنها كانت سكينًا.

كنت تستخدمها لتمنع نفسك من الأمل،

لا لتفهم الحب.

رفع الكاتب عينيه:

–وكيف أفهمها الآن؟

قال شمس:

–الحب ليس طريقة...

الحب طاقة.

هناك من يحبك بصمته،

ومن يحبك بعناقه،

ومن يحبك بابتعاده المؤقت.

لكن أنت...

كنت تريد الجميع أن يحبك بالطريقة التي تعالج كسرك.

وهذا ليس حبًا...

هذا علاج.

أطرق الكاتب رأسه بإقرار.

كانت الكلمات تصيبه في مكان نجا منه كثيرًا.

القاعدة الثالثة والعشرون

«لا تفسر الصمت على مزاجك... الصمت كون كامل**».

ابتسم شمس:

–هذه القاعدة جميلة...

لكنّك طبقتها بشكل مؤذٍ.

رفع الكاتب حاجبه:

–كيف؟

قال شمس:

–كنت تفسر الصمت دومًا على أنه رفض،

أو خذلان،

أو تجاهل.

لم تفكر يومًا أن الصمت

قد يكون تعبًا،

أو خوفًا،

أو انتظارًا،

أو حتى حبًا لا يعرف كيف يُقال.

ثم وضع شمس يده على صدر الكاتب:

–القلب الذي يتوجع من الصمت

هو قلب لم يفهم نفسه بعد.

القاعدة الرابعة والعشرون

«لا تنتقم... فالانتقام يخلق منك نسخة من الجاني**».

أغلق شمس الدفتر قليلًا،

ونظر إلى الكاتب مباشرة:

–هنا...

كنت حكيماً دون أن تدري.

كنت تعلم في أعماقك

أن الانتقام لا يشبهك،

لكن الغضب كان يجعل صوتك أعلى من حقيقتك.

رفع الكاتب رأسه:

–نعم...

كنت أفكر في الانتقام كثيرًا،

لكنّي لم أفعله.

اقترب شمس،

وقال بصوت دافئ:

–وهذا ما أبقى قلبك نقيًا.

النقاء لا يعني عدم الوجع...

بل يعني ألا تُعيد ما فعله الآخرون بك.

كانت الجملة كأنها تمسّ شيئًا في الكاتب

لم يلمسه أحد منذ زمن.

القاعدة الخامسة والعشرون

«لا تُغلق بابك خوفًا من اللصوص،

فتُغلق معه فرصة دخول الأحبة**».

فتح شمس يديه كمن يقدّم هدية:

–هنا وصلتَ إلى مرحلة الوعي...

لكن الخوف كان أكبر من الحقيقة.

أغلقت بابك ليس لأنك لا تريد الحب،

بل لأنك لا تريد أن تعيش الخسارة مرة أخرى.

تنهد الكاتب:

–نعم...

كنت أدفن نفسي في العزلة

وأقنعها بأنها راحة.

قال شمس:

–العزلة راحة...

لكن الهروب مرض.

وأنت...

كنت تهرب.

شعر الكاتب بحرارة تسري في صدره،

حرارة اسمها الاعتراف.

المشهد الأول: كيف ينعكس هذا الدرس على الكاتب؟

رفع شمس الدفتر،

وقال:

–القواعد الخمس التالية

هي بداية عبورك من مرحلة الخوف

إلى مرحلة الوعي.

الوعي الذي يجعل القلب مفتوحًا...

لكنّه لا ينزف.

يجعل الروح محبة...

لكنها لا تُستغل.

يجعل الإنسان قريبًا...

لكن ليس تابعًا.

ثم نظر إلى الكاتب نظرة مطمئنة:

–أنت الآن في نقطة

لم تعد فيها تكره الماضي،

ولا تخشاه،

ولا تريد الانتقام منه...

بل تريد فهمه.

وما يُفهَم...

لا يؤلم.

المشهد الثاني: استعدادٌ للدخول في مرحلة أعمق

جلس شمس بطريقة مختلفة،

كأنه يستعد لبداية جديدة،

ثم قال:

–سأبدأ بإخبارك عن

مرحلة الوداع بيني وبين الرومي،

وكيف لا يشبه الوداع النهاية

بل يشبه اكتمال الرحلة.

ثم أضاف:

–وعندها...

سترى أن كل لقاء في حياتك

حتى المؤلم منها

كان يحمل معنى.

تنفّس الكاتب بعمق،

شعر أن الطريق يتجه نحو نورٍ أكبر

لم يعرفه في حياته من قبل.

وقال بهدوء:

–أكمل يا شمس...

أنا جاهز للفصول التي تغيّرني،

لا التي تواسيني.

ابتسم شمس:

–ولذلك بقيت.

الفصل الرابع عشر

حين تتوقف عن جلد نفسك... ويبدأ وعيك بالكتابة**

كان الصباح دافئًا بطريقة لم يألفها الكاتب.

لم يكن دفء الشمس على الجدران،

بل دفء شيء استيقظ داخل صدره.

شيء جديد...

يشبه بداية طريق طويل

لا يعرف نهايته،

لكنه يعرف أنه لم يعد خائفًا منه.

جلس الكاتب أمام شمس،

وملامحه هذه المرة لا تحمل انكسارًا،

ولا دفاعًا،

ولا قناع رجلٍ يدّعي القوة.

كانت تحمل شجاعة رجلٍ

بدأ يرى نفسه بوضوح،

ولم يعد يخاف من الحقيقة.

فتح شمس الدفتر،

ثم قال:

–الآن يا صاحبي...

سندخل مرحلة القواعد التي لم تُكتب بسبب الغضب،

ولا بسبب الخوف،

بل بسبب بحثك عن معنى.

هذه القواعد هي مفترق الطريق...

بين الرجل الذي كنتَ،

والرجل الذي ستصبحه.

القاعدة السادسة والعشرون

«لا تطلب الاعتذار من أحد... من يفهم خطأه يعتذر دون طلب**».

قرأ شمس القاعدة،

ثم قال:

–هذه القاعدة كتبتها يوم كنت تظن أن الاعتذار دليل حب.

لكن الاعتذار يا صديقي...

ليس دائمًا دليلاً على الحب،

ولا غيابه دليلًا على القسوة.

سأل الكاتب بصوتٍ خافته الحكمة:

–إذًا ما هو الاعتذار؟

أجاب شمس:

–الاعتذار نضج...

من تعلّم أن يرى أثر فعله على قلب غيره.

وأنت كنت تطلب الاعتذار

لكي تشعر بأنك مهم،

لا لأنك تريد الترميم.

اقترب شمس وقال:

–اليوم...

هل تحتاج أن يعتذر لك أحد؟

تنفّس الكاتب بعمق:

–لا.

ما تمنّيته يومًا أن أصلحه بالاعتذار

أصلحه الفهم.

ابتسم شمس:

–وهذه أول خطوة نحو السلام.

القاعدة السابعة والعشرون

«لا تعاقب نفسك على ما لم تكن تعرفه حين فعلته**».

توقف الكاتب فجأة.

كانت هذه القاعدة

كأنها سكين من الماضي.

قال شمس:

–أنت كنت قاسيًا مع نفسك

أكثر مما كان الآخرون قساة معك.

تحاكم نفسك اليوم بمعرفة امتلكتها لاحقًا،

وكأنك كنت مُلزَمًا أن تكون رجلًا ناضجًا

وأنت لا تزال طفلًا يتعلم الحب.

ثم أضاف:

-سامح نفسك على الماضي...

ليس لأنها تستحق المسامحة،

بل لأنها تحتاجها.

أغلق الكاتب عينيه،

وشعر بأن شيئًا ثقيلًا سقط أخيرًا من فوق قلبه.

القاعدة الثامنة والعشرون

«لا تخف من التغيير... الثابت الوحيد في الحياة هو الحركة**«.

قال شمس:

–هذه القاعدة كتبتها يوم خفت من خسارة عالمك كله.

كنت تظن أن الاستقرار هو الأمان.

لكن الحقيقة...

أن الحياة لا تهدأ،

ولا تتوقف،

ولا تتجمد عند شكل واحد.

ثم أكمل:

–ما خسرته لم يكن خسارة...

كان انتقالًا.

وما ظننته نهاية...

كان بداية.

ابتسم الكاتب ابتسامة صغيرة،

وقال:

–التغيير لم يعد يرعبني كما كان.

ردّ شمس بثقة:

–لأنك فهمت أن ما يليق بروحك

لن يخرج من يدك...

حتى إن تغيّر شكله.

القاعدة التاسعة والعشرون

«لا تُشبه نفسك بغيرك... أنت خلقٌ فريد لا يتكرر**».

هنا رفع شمس الدفتر،

ونظر إلى الكاتب نظرة طويلة:

–هذه القاعدة...

كنت تفهمها،

لكن لا تؤمن بها.

سأل الكاتب:

–وكيف أؤمن بها؟

قال شمس:

–عندما تتوقف عن مقارنة جراحك بغيرك،

وقلبك بغيرك،

ونجاحك بغيرك.

لا أحد عاش قصتك،

ولا أحد يبكي دمعتك،

ولا أحد يكتب بقلمك،

ولا أحد يسير على طريقك.

ثم أكمل:

–أنت لست متأخرًا...

لست مكسورًا...

لست فاشلًا.

أنت أنت.

وهذا يكفي.

انخفضت أنفاس الكاتب...

كأنه سمع جملة كان يبحث عنها منذ عمر.

القاعدة الثلاثون

«لا تخسر نفسك وأنت تحاول أن تكون جيدًا للجميع**».

أغلق شمس الدفتر ببطء،

وقال:

–هذه القاعدة...

هي خلاصة مرحلة بأكملها من حياتك.

كنت تلطف الآخرين

حتى حين يؤلمونك.

تواسيهم

وأنت تنهار.

تعطيهم

وأنت تحتاج أن يأخذ أحدٌ بيدك.

اقترب شمس ووضع يده على قلب الكاتب:

–اليوم...

لن تفعل هذا بنفسك بعد الآن.

الخير لا يعني أن تُهمل نفسك،

ولا أن تُقصي ألمك،

ولا أن تترك روحك بلا حضن.

ثم قال جملة تشبه ختم الحكمة:

–أن تكون جيدًا...

لا يعني أن تكون مستباحًا.

تنفّس الكاتب بعمق،

وللمرة الأولى شعر أن قلبه يحبه،

لا يلومه،

ولا يعاقبه،

ولا يجرّمه.

بداية الحديث عن الوداع

جلس شمس إلى جانب الكاتب

كأنهما صاحبان لا معلّم وتلميذ،

ثم قال:

–بعد هذه القواعد...

سأحدثك عن الوداع.

وداعي للرومي،

ووداع الرومي لي.

وداعٌ لم يكن موتًا،

بل اكتمالًا.

سأل الكاتب بصوتٍ مغمور بالفضول:

–هل كان الوداع مؤلمًا؟

هزّ شمس رأسه بطمأنينة عميقة:

–كل وداع مؤلم،

إلا الذي يأتي بعد اكتمال الدرس.

وحين يكتمل الدرس...

يصير الوداع نورًا.

ثم تابع:

–وها أنت...

تقترب من اكتمال درسك أنت أيضًا.

رفع الكاتب رأسه:

–وهل سيكون هناك وداع بيني وبينك؟

ابتسم شمس ابتسامة واسعة،

حزينة،

وعميقة:

–كل لقاءٍ عظيم...

له وداع أعظم.

ثم أضاف:

–لكن لا تخف.

فالوداع...

ليس غيابًا.

إنه تحوّل.

لفصل الخامس عشر

وداع يشبه اكتمال القمر... لا غياب الشمس**

لم يكن الليل ثقيلًا تلك الليلة،

لكن بداخله شيئًا يشبه الحزن،

حزنًا ناعمًا،

هادئًا،

كأن الكون كلّه يستعد لشيء لا يريد أن يعلنه بصوتٍ عالٍ.

جلس الكاتب أمام شمس،

وقد لاحظ هذه المرة أن وجه شمس

يحمل نورًا مختلفًا...

نورًا يشبه الهدوء بعد رحلة طويلة،

هدوء رجلٍ يعرف أنه على وشك أن يقول

أعمق ما يمكن قوله.

قال شمس بصوتٍ خافت:

–قبل أن نتابع القواعد...

عليك أن تعرف كيف ودّعتُ الرومي.

لأن وداعي له...

سيعلّمك معنى الوداع الذي ينتظرك أنت أيضًا.

ارتجف الكاتب قليلًا.

لم يكن يريد الحديث عن الوداع،

لكن شمس كان دائمًا يفتح الأبواب التي يخشى الكاتب دخولها.

حين أحسّ شمس باكتمال الرحلة

اختفت جدران الغرفة.

صار المكان صحراء واسعة،

في نهايتها شجرة كبيرة

تحتها جلس الرومي،

وبجواره دفاتر مفتوحة،

وأوراق تشبه الطيور،

وأقلام مغموسة بنورٍ لا يشبه نور الأرض.

كان الرومي يكتب شيئًا،

وعيناه تلمعان

كما لو أنه يبكي دون دموع.

اقترب شمس منه،

وقلبه ثقيل بطريقة غريبة،

كأنه يعرف ما سيقوله الرومي

قبل أن يسمعه.

رفع الرومي رأسه،

ابتسم ابتسامة متعبة وقال:

–لقد انتهى الدرس يا شمس.

سأل الكاتب شمسًا بصوت مرتعش:

–وهل كان ذلك اليوم...

بداية الوداع؟

أجاب شمس:

–لم يكن بداية...

بل إعلانًا لشيء عرفه كلانا من البداية:

أن كل رحلة لها اكتمال،

وأن النهر لا يبقى في مجراه

بعد أن يجد البحر.

المشهد الثاني: دمعة الرومي التي لم يرها أحد

تغيرت الصورة.

صار الليل يلفّ قونية،

والشمع يذوب ببطء،

وينعكس ضوءه على وجه الرومي.

وقف شمس أمامه،

والرومي ينظر إليه

كما ينظر طفلٌ إلى أبٍ يخشى فقده.

قال الرومي بصوت متكسر:

–لن أجد آخرًا مثلك يا شمس.

أنت نورٌ لا يتكرر.

اقترب شمس،

ووضع يده على كتف الرومي:

–أنت لا تحتاج آخرًا مثلي...

لأنك أصبحت كل شيء كنتُ أريدك أن تكونه.

هنا...

سقطت دمعة.

دمعة واحدة

انحدرت على خد الرومي ببطءٍ

لا يشبه ضعفًا...

بل يشبه اكتمال إنسان.

همس الرومي:

–هل ستغادر؟

كان الصمت جوابه الأول.

صمت طويل

يسمع فيه الإنسان دقات قلبه،

لا الكلمات.

ثم قال شمس:

–سأغادر...

لكنّي لن أختفي.

سأتحول...

كما يتحول الماء بخارًا

لكنه يبقى ماءً في كل حالاته.

سأل الكاتب شمسًا:

–هل خاف الرومي؟

ردّ شمس بعمق:

–كل من أحبّ بصدق

يخاف الوداع...

لكن الخوف لا يمنع الوداع

حين يحين وقته.

ليلة الوداع... حين صمتت الكلمات

أصبحت الغرفة مليئة بضوءٍ ذهبي

كأنه من ذكرى بعيدة.

رأى الكاتب ليلة الوداع الحقيقية:

شمس والرومي واقفان قرب النافذة،

والمدينة نائمة،

لكن قلبيهما مستيقظان

بشكل موجع.

قال شمس:

–لقد أمسكت بيدي يا مولانا...

حتى حين دفعتك النار.

والآن...

حان الوقت أن تمسك بيدك أنت.

أجاب الرومي:

–وكيف أعيش بعدك؟

ردّ شمس:

–كما عشتَ معي...

بالنور،

بالصدق،

وبالحب الذي يغيّر،

لا الذي يأخذ.

ثم اقترب شمس

ووضع جبينه على جبين الرومي

كأنهما يعيدان خلق العالم.

وقال همسًا:

-أنا لم أكن معلمك...

كنتُ صوتك.

والآن...

صار صوتك أقوى مني.

وفجأة...

تحولت الصورة إلى نورٍ شديد.

نورٍ يغمر كل شيء،

ولا يترك ظلًّا خلفه.

سأل الكاتب بخوف:

-هل اختفى شمس في تلك اللحظة؟

ابتسم شمس الذي يجلس أمامه الآن:

-لم أختفِ...

تحولت.

كيف يشبه وداع شمس للرومي... ما ينتظر الكاتب

عاد المشهد إلى الغرفة.

جلس شمس أمام الكاتب

ونظر إليه نظرة لم يرها من قبل،

نظرة عميقة،

هادئة،

مليئة بشيء يشبه الحنان.

قال شمس:

–سأقول لك شيئًا لا بد أن تفهمه...

ليس كل من يدخل حياتك سيبقى.

لكن كل من يدخلها بصدق

سيترك نورًا لا يختفي.

تنفّس الكاتب بعمق.

كان قلبه يضرب بطريقة غير مريحة،

لكنها ليست مؤذية...

كانت تشبه الحقيقة.

قال شمس:

–أنا هنا معك الآن...

وسأبقى معك

حتى تكتمل رحلتك.

لكن مثلما تركتُ الرومي

حين أصبح قادرًا على السير وحده،

سيأتي يوم

قد تحتاج أن أكمل معك

بطريقة أخرى.

سأل الكاتب بصوت مبحوح:

–وهل سيكون الوداع قريبًا؟

رد شمس بابتسامة صوفية غامضة:

–الوداع لا يقاس بالوقت...

بل بالاكتمال.

بداية العبور إلى القواعد التالية

وقف شمس،

وتقدّم نحو الدفتر،

فتحت الصفحات نفسها

كأنها تعرف ما سيأتي.

–في الفصل القادم...

سنبدأ في القواعد التالية وهذه القواعد...

هي قلب الرواية.

الفصل الثاني

القواعد التي ستسأل فيها نفسك:

من أنا؟

بعد أن تركتُ كل ما كنتُ أظنه أنا؟

ابتسم الكاتب ابتسامة خفيفة،

لكنها متوجعة:

–وهل سأتحمّل الحقيقة؟

وضع شمس يده على كتفه:

–الحقيقة لا تؤذي...

الذي يؤذي هو مقاومة الحقيقة.

ثم قال:

–فلنبدأ.

القاعدة الحادية والثلاثون

القلب الذي يرى... قبل أن يحكم**

لم يكن الكاتب قد نام كعادته تلك الليلة.

كان رأسه ممتلئًا بصور الوداع،

وصوت شمس،

وأنفاس الرومي وهو يسلّم قلبه للنور.

لكن المدهش...

أنه لم يشعر بالخوف من فكرة الوداع.

بل شعر بشيء أقرب إلى الاستعداد،

كأن قلبه بدأ ينضج بما يكفي

ليعرف أن الوداع ليس غيابًا...

بل تحولًا.

جلس أمام شمس،

الذي بدا مختلفًا قليلًا هذه المرة:

أكثر هدوءًا،

وأعمق نظرة،

وكأن شيئًا بين السماء والأرض

صار ينعكس في وجهه.

قال شمس:

–الآن...

دخلتَ قلب الرحلة.

القواعد 31 إلى 40

ليست مجرد نصائح...

بل مرايا.

من يجرؤ على النظر فيها

يرى نفسه الحقيقة،

لا النسخة التي اعتاد أن يعيش بظلّها.

ابتلع الكاتب ريقه،

وقال بصوت واثقٍ لأول مرة:

–لن أهرب.

ابتسم شمس:

–لذلك سأبدأ.

**

«لا تحكم على نوايا الناس... فأنت بالكاد تفهم نواياك».**

قرأ شمس القاعدة،

ثم رفع نظره وقال:

–هنا كتبتَ الحكمة،

لكنّك لم تطبقها يومًا.

كنت تظن أن الآخرين يقصدون ما يوجعك،

مع أن معظم الجراح

تأتي من جهل... لا من قصد.

سأل الكاتب:

–وكيف أفهم نواياهم إذًا؟

قال شمس:

–لا تفهمها.

افهم نفسك.

إن فهمت نفسك،

صار ما يقوله الناس مجرد صوت،

لا سكينًا.

**

القاعدة الثانية والثلاثون

«لا تمنح الغضب مساحة أكبر من لحظة... فاللحظة تكفي ليُنهي كل شيء».

قال شمس:

–الغضب يا صاحبي

ليس عدو الإنسان...

الخوف هو العدو.

الغضب مجرد طفلٍ يصرخ

لأن شيئًا في أعماقه لم يُفهم بعد.

ثم أضاف:

–كنت تغضب لتدافع عن نفسك...

واليوم،

لست بحاجة للدفاع.

لأنك لم تعد تقاتل العالم،

بل تفهمه.

القاعدة الثالثة والثلاثون

«لا تبحث عن نصفك الآخر... ابحث عن نصفك الضائع منك».**

تجمد الكاتب.

هذه القاعدة كانت موجعة.

قال شمس:

–كنّا نظن أن نصفنا موجود في شخص آخر...

في حب،

في علاقة،

في يدٍ تمسكنا.

لكن الحقيقة...

أن نصفك الحقيقي

هو الجزء منك الذي هجرته أنت.

هز الكاتب رأسه ببطء:

–نعم...

كنت أبحث عني في الآخرين.

اقترب شمس وقال:

–ومن يبحث عن نفسه في غيره...

يضيع مرتين.

**

القاعدة الرابعة والثلاثون

«لا تمنح حُبّك لمن لا يعرف قيمته... فالقيمة لا تُشرح»**.**

قال شمس:

–هنا ظننتَ أنك تحمي نفسك...

لكن الواقع أنك كنت تظلم قلبك.

لم يكن الآخرون لا يعرفون قيمتك...

بل أنت من لم يعرف قيمته يومها.

سأل الكاتب:

–وهل يعرفها الآن؟

أجاب شمس:

–بدأ يعرف...

وسيعرف أكثر

حين يصل إلى القاعدة الأربعين.

القاعدة الخامسة والثلاثون

«لا تقدّس أحدًا... البشريتعبون من القداسة كما يتعبون من الخذلان»**.

ضحك شمس بخفة:

-هنا كتبتَ أجمل كلماتك.

كنت رجلًا يحب بقوة،

للدرجة التي ترفع الآخر فوق مكانته.

وحين يسقط...

تنهار معه.

ثم أكمل:

-لا تجعل أحدًا إلهًا...

ولا تجعل أحدًا شيطانًا.

الإنسان خليط...

من ضوءٍ وظل.

انخفضت روح الكاتب قليلًا...

ثم ارتفعت.

كأنه فهم شيئًا كان معلقًا بين كتفيه.

المشهد الأول: بدايات التحول

شعر الكاتب أن أنفاسه تتبدل،

أن ثقلًا كان ساكنًا في صدره

بدأ يتحرك ويذوب.

قال شمس:

–القواعد من 31 إلى 35

هي مرحلة أن ترى نفسك من الداخل...

لا كما رآها الناس.

ولم يكن بوسعك الوصول إليها

قبل أن تمر بكل ما مررت به.

ثم ابتسم:

–هل تلاحظ شيئًا؟

سأل الكاتب:

–ماذا؟

قال شمس:

–أنت لم تعد تبكي عندما تسمع الحقيقة.

أصبحت تستقبلها...

كما يستقبل القلب المطر.

تنفّس الكاتب بعمق.

نعم...

هناك شيء تغيّر فيه.

شيء ينمو،

وينضج،

ويتجاوز.

**

القاعدة السادسة والثلاثون

«لا تعش على وعد... الوعود تُقال بعقل والوفاء بها يحتاج قلبًا».

قال شمس:

–الوعود التي لم تُنفَّذ

ليست خيانة...

بل ضعف.

والضعف إنساني.

لكن قلبك كان يعاقب نفسه حين يخيّبه أحد.

صمت الكاتب طويلًا...

ثم قال:

–كنت أظنهم يكذبون.

ابتسم شمس:

-لم يكذبوا...

فقط لم يستطيعوا أن يكونوا

على قدر قلوبهم.

القاعدة السابعة والثلاثون

«لا تتمسك بمن ينسحب... الانسحاب رسالة لا تحتاج ترجمة**».

قال شمس:

–هنا أعترف أنك كنت حكيمًا.

كنت تعرف الحقيقة...

لكن قلبك كان أرحم من قدرتك على الفهم.

ثم أكمل:

–الانسحاب ليس قسوة.

أحيانًا يكون النجاة...

وأحيانًا يكون اعترافًا صامتًا

بأن القلوب لم تعد في الطريق نفسه.

القاعدة الثامنة والثلاثون

«لا تفسد حبًا قديمًا بكراهية جديدة**».

تنهد شمس:

–الغضب بعد الحب

يحاول أن يحميك...

لكن الحقيقة أن الحب لا يحتاج حماية.

ما انتهى... انتهى.

وما بُني على نور

لا يُهدم بالكراهية.

أطرق الكاتب رأسه.

قال شمس:

–لا تكره غيداء...

ولا غيرها.

كلّهم كانوا جزءًا من الطريق.

والطريق نعمة...

حتى حين يوجع.

القاعدة التاسعة والثلاثون

«لا تبرر نفسك لمن لا يريد أن يفهم**».

قال شمس:

–كنت تشرح نفسك كثيرًا...

وكأنك مذنب.

لكن تبرير النفس

حاجة الخائف،

لا حاجة الصادق.

رفع الكاتب رأسه:

–ماذا أفعل إذًا؟

قال شمس:

–كن واضحًا...

ولا تنتظر تصفيقًا من أحد.

القاعدة الأربعون

«لا تتعلق بما يكسر روحك... فالروح إن انكسرت طويلاً لا تعود كما كانت**».

هنا...

ساد صمت طويل.

طويل لدرجة أن الكاتب شعر بثقل الهواء.

كأن هذه القاعدة

كانت قلبه نفسه.

قال شمس بصوت يشبه الهمس:

–هذه القاعدة...

لم تكتبها أنت.

هذه كتبها وجعك.

ارتعش الكاتب.

ثم قال شمس:

-لكن اليوم...

يمكنك أن تعيد كتابتها.

ليس الخوف هو ما يمنع الروح من العودة...

بل التعلق.

وكل ما تتعلق به خوفًا...

يكسر روحك أكثر.

رفع الكاتب رأسه،

وقال بصوت صادق:

-لا أريد أن أنكسر بعد الآن.

اقترب شمس،

ووضع يده على كتف الكاتب:

-ولن تنكسر...

ما دمت تعلّمت أن تترك ما يجب تركه،

وتحب ما يجب أن يُحَب،

وتعرف قيمة روحك.

المشهد الأخير: نحو القواعد التي ستكشف الحقيقة الكبرى

قال شمس:

–انتهينا من الأربعين.

والقواعد من 41 إلى 50

ستكون أصعب...

وأجمل.

ستسأل فيها نفسك:

ما الحب؟

ما الغفران؟

وما معنى أن تحيا بحرية؟

ابتسم الكاتب بحذر:

–وهل سأكون قادرًا على التحمل؟

أجاب شمس بسكونٍ عميق:

–أنت الآن...

أقوى مما كنت تتخيل.

ثم قال:

–فلنكمل.

لفصل السابع عشر

حين يتعلم القلب... أن الحب ليس ضعفًا بل نورًا**

لم يكن الكاتب قد عرف هذا النوع من الراحة من قبل.

راحة ليست خالية من الأسئلة،

ولا فارغة من الخوف،

بل راحة ناضجة...

تأتي بعد مواجهة طويلة.

جلس أمام شمس وكأنه يجلس أمام مرآة

لأول مرة يرى فيها نفسه

واضحة،

بلا تزيين،

ولا خوف،

ولا مكابرة.

فتح شمس الدفتر

ووضع يده على صفحة جديدة،

وأغمض عينيه لحظة،

كأن الكلمات تحتاج احترامًا

قبل أن تُقرأ.

ثم قال:

–الآن...

نقترب من جوهر الرحلة.

القواعد من 41 إلى 50

ليست عن الآخرين،

ولا عن الماضي،

بل عن الحب

كما يجب أن يفهمه القلب،

لا كما ترويه الخيبات.

القاعدة الحادية والأربعون

«لا تحب نصف حب... فالنصف يشبه العطش، لا يشبه الحياة**».

قال شمس:

–هنا كتبتَ شيئًا عظيمًا...

لكنك عشت عكسه.

كنت تمنح نصفك،

وتنتظر من الآخر أن يمنحك كلّه.

وكان ذلك ظلمًا لك وله.

سأل الكاتب:

–وكيف أحب كاملًا؟

أجاب شمس:

–بأن تبدأ بنفسك.

من لا يحب نفسه كاملة...

لا يستطيع أن يحب أحدًا كاملة.

الحب طاقة كاملة،

لا تُمنح بنصف قلب.

القاعدة الثانية والأربعون

«لا تُعطِ من روحك ما تحتاجه لتبقى واقفًا**».

قال شمس:

–العطاء جميل...

لكن العطاء المُرهِق

ليس فضيلة،

بل هروب.

كنت تُعطي لكي لا تُواجه

أنك تحتاج من يعطيك أنت أيضًا.

خفض الكاتب رأسه،

وقال:

–كنت أظن أن القوة في أن أبقى واقفًا وحدي.

رد شمس:

–القوة ليست أن تقف...

القوة أن لا تنسى نفسك واقفًا

وتدع الآخرين يستندون عليك دائمًا.

القاعدة الثالثة والأربعون

«لا تُحب حبًا يحتاج إثباتًا... فالحب الصحيح دليل نفسه**».

قال شمس:

–هنا جوهر الحقيقة.

الحب الذي يحتاج إلى تبرير،

وإثبات،

وتفسير...

ليس حبًا.

إنه قلق.

والقلق ليس مكانًا يبني فيه الإنسان بيتًا.

ابتسم الكاتب بحزن:

–كنت أطلب من الحب أن يطمئن خوفي...

لا أن يطمئن قلبي.

قال شمس:

-الخوف لا يشبع.

أما القلب...

فيطمئنه الصدق،

لا الوعود.

القاعدة الرابعة والأربعون

«لا تُعاقب من أحبك لأن غيره أوجعك**».

تنفس الكاتب بحدة.

كانت هذه القاعدة كأنها اعتراف.

قال شمس:

–كنت تدخل العلاقات بقلبٍ مُجوَّف،

يمتلئ بدماء جراح قديمة.

فتضع على الآخرين ما لم يفعلوه.

وهذا ظلم...

لنفسك قبلهم.

سأل الكاتب بصوت خافت:

–وكيف أغفر؟

أجاب شمس:

–بالمواجهة.

أن تقول:

"هذا خوفي... وليس ذنبك".

هكذا يتحول الحب إلى نور،

لا إلى حرب.

القاعدة الخامسة والأربعون

«لا تخلط بين الغفران والعودة... الغفران سلام، والعودة قرار**».

ابتسم شمس:

–يا صاحبي...

كم خلطتَ بينهما؟

كنت تعتقد أن التسامح يعني إعادة فتح الباب،

لكن الحقيقة

أن الغفران شفاء،

وليس عقدًا جديدًا.

هز الكاتب رأسه:

–نعم...

كنت أخاف أن أبدو قاسيًا إذا لم أعد.

قال شمس:

–القسوة ليست في عدم العودة...

القسوة أن تعود إلى مكانٍ لا يناسبك

وتتأذى من جديد.

المشهد الأول: لمحة من رقص شمس والرومي

ابتسم شمس فجأة،

وقال:

–أتدري؟

هذه القواعد

كانت أساس رقصي مع الرومي.

تغيّر المشهد حولهما.

ظهرت غرفة الورد،

حيث كان الرومي يدور

كأنه يدور حول الحقيقة،

وشمس يقف في المنتصف

كأنّه مركز الكون.

قال شمس:

–الرقص لم يكن حركة...

كان حبًا.

كل خطوة كانت غفرانًا،

كل دوران كان قبولًا،

كل نفسٍ كان اعترافًا

بأن الحب نور

وليس امتلاكًا.

سأل الكاتب وقد انبهر بالمشهد:

–وهل كان الرومي يحبك؟

ابتسم شمس بحنان:

–كان يحب الله من خلالي...

وكان يحب نفسه من خلال وجودي.

الحب بيننا لم يكن بشريًا...

كان حبًا يعيد خلق القلب.

القاعدة السادسة والأربعون

«لا تجعل حضورك مُسلّمًا به... فالأرواح التي لا تُقدِّر تُطفئ نورها**».

قال شمس:

–كنت تمنح حضورك ببساطة،

كأنه لا قيمة له.

لكن حضورك روحك...

ومن لا يعرف قيمة النور،

يعيش في الظلام ولا يشعر.

سأل الكاتب:

–وكيف أحمي حضوري؟

أجاب شمس:

–بأن لا تمنحه لمن لا يفتح قلبه لاستقباله.

الحضور هدية...

وليس واجبًا.

القاعدة السابعة والأربعون

«لا تُساوم على نورك... فالظلام لا يستحق التنازل**».

قال شمس:

–كنت تُخفف من نفسك

كي تناسب الآخرين.

تخفي قوتك،

تخفي وضوحك،

تخفي روحك.

اقترب منه شمس وقال:

–النور لا يُساوَم.

النور يُمنح...

أو يُحجب.

القاعدة الثامنة والأربعون

«لا تخلط بين الوحدة والعزلة... الوحدة مؤلمة، والعزلة ضرورة**».

قال شمس:

–كنت تهرب إلى العزلة

حين تتأذى.

لكن الفرق بين الوحدة والعزلة

أن الأولى جرح،

والثانية علاج.

تنهد الكاتب:

–كنت أخلط بينهما كثيرًا.

رد شمس:

–اليوم...

تفهم أن العزلة اختيار،

لا عقوبة.

القاعدة التاسعة والأربعون

«لا تَخُن نفسك من أجل أن تبقى محبوبًا**«.

أغمض شمس عينيه لحظة،

ثم قال:

–هذه القاعدة...

كانت صراخك القديم.

كنت تتنازل عن جزء منك

لكي لا تُرفض.

لكن الخيانة الحقيقية

هي أن تترك نفسك

كي تُرضي غيرك.

أخفض الكاتب رأسه:

–نعم...

كنت أفعل ذلك كثيرًا.

اقترب شمس وقال:

–الآن لن تفعل.

لأن الحب الذي يجعلك تخون نفسك

ليس حبًا...

بل سجنًا.

القاعدة الخمسون

«لا تحبس قلبك خوفًا من الانكسار... الانكسار طريق إلى النور**».

وقف شمس هذه المرة،

كأنه يريد أن يختتم الدرس واقفًا.

قال:

–هذه القاعدة...

هي بداية الحكمة.

أن تفهم أن القلب

لا ينجو من الحياة بلا انكسارات.

لكن الانكسار ليس النهاية...

إنه بداية الضوء.

اقترب شمس من الكاتب،

ووضع يده على قلبه:

–القلب الذي لا ينكسر...

لا ينمو.

والقلب الذي ينمو...

يرى.

سقطت دمعة من عين الكاتب،

لكنها لم تكن من ألم،

بل من امتنان.

المشهد الأخير: استعداد لمواجهة النفس

جلس شمس،

وقال بصوتٍ يشبه إعلان مرحلة جديدة:

–القواعد الخمسون الأولى

كانت عن العالم،

والآخرين،

والماضي.

أما القواعد العشر الأخيرة...

فهي عنك.

عن حقيقتك.

عن نورك.

عن الطريق الذي ستسلكه بعدي.

سأل الكاتب بخوف محب:

–وهل ستبقى معي حتى النهاية؟

ابتسم شمس،

ابتسامة تشبه ضوء فجر بعيد:

–سأبقى...

حتى تصل للنقطة

التي لا تحتاجني فيها

لأن نورك يكفي.

لفصل الثامن عشر

حين يبدأ القلب بمواجهة نفسه... لا العالم**

كان الليلُ صامتًا تلك الليلة،

لكنّ الصمت لم يكن فراغًا...

بل كان مثل يدٍ رحيمة

تمهّد الطريق لشيء كبير سيُقال.

جلس الكاتب أمام شمس،

ولأول مرة

لم يشعر بالخوف من القادم.

كان في داخله نورٌ صغير،

لم يكن قويًا بعد،

لكنّه كان يكفي ليجعله مستعدًا

للنظر إلى نفسه بجرأة.

فتح شمس الدفتر،

وتوقّف أمام الصفحة التي بدأت فيها

القواعد الأخيرة...

وقال بصوتٍ يشبه بداية صلاة:

–الآن...

تبدأ مرحلة الحقيقة.

القواعد من 51 إلى 55

هي المرآة التي لا تكذب.

ومن يقف أمامها بصدق...

يولد من جديد.

تنفّس الكاتب بعمق،

وأومأ.

القاعدة الحادية والخمسون

«لا تهرب من نفسك... فالمطاردة في الداخل أشد من أي معركة في الخارج**«.

قرأ شمس القاعدة ببطء،

ثم قال:

–طوال حياتك كنت تبحث عن مبرر...

تتهم الظروف،

تعاتب الآخرين،

تدفن الخاصرة الضعيفة تحت كلمات قوية.

لكن الحقيقة؟

أنت كنت تهرب من نفسك...

من خوفك،

من رغباتك،

من جراحك التي لم تتجرأ على مواجهتها.

رفع الكاتب رأسه بخجل:

–كنت أظن الهروب ذكاء.

ابتسم شمس:

–الهروب ليس ذكاءً...

الذكاء أن تواجه ضعفك دون أن تكرهه.

اليوم أنت تبدأ أول مواجهة حقيقية

مع نفسك.

القاعدة الثانية والخمسون

«لا تكذب على قلبك... فهو الوحيد الذي يسمع الحقيقة قبل حدوثها**«.

قال شمس:

-القلب لا يكذب.

كنت تعرف من البداية

من سيحبك حقًا،

ومن سيرحل،

ومن سيؤذيك،

ومع ذلك...

كنت تخون قلبك لتمنح الآخرين فرصة

لم يطلبوها أصلًا.

سكت الكاتب طويلًا ثم قال:

–نعم...

كنت أسمع صوت قلبي،

ولكنّي لم أكن أصدق ما يقوله.

ردّ شمس:

–لأنك خفت من الحقيقة.

لكن القلب لا يكرهك حين تخونه...

هو ينتظرك فقط.

القاعدة الثالثة والخمسون

«لا تطلب من الآخرين أن يفهموك... افهم نفسك أولًا**«.

قال شمس:

–لو كنت تفهم نفسك،

لما كنت تطلب من أحد تفسير وجوده،

ولا دفاعه عن حبّه،

ولا تبرير ابتعاده.

الناس يا صاحبي

لا يفهمونك حين لا تفهم أنت نفسك.

كنت تنتظر من الآخرين

أن يحملوا فوضاك...

مع أنك لم تحاول ترتيبها.

سأل الكاتب:

–وكيف أفهم نفسي؟

ابتسم شمس وقال:

–بالسكون.

بالصمت.

بأن تستمع لما يقوله قلبك حين لا تخيفه.

أصعب فهم...

هو فهم الذات.

لكنّه أيضًا أجمل تحوّل.

القاعدة الرابعة والخمسون

«لا تَحْمِل قلبك ما لا يطيق... فهو ليس سجنًا، بل بستان**«.

بدت هذه القاعدة كأنها موجّهة لجذر الكاتب،

لا لصفحته.

قال شمس:

–كنت تحمّل قلبك ما يفوق احتماله:

الغضب،

العتب،

الحزن،

الصمت الثقيل،

محاولات الثبات أمام العالم.

لكن القلب ليس حجَرًا.

القلب بستانٌ

يحتاج أنفاسًا،

ومطرًا،

وفراغًا لينبُت من جديد.

أغمض الكاتب عينيه،

وقال:

–أشعر... أن قلبي كان مخنوقًا فعلًا.

رد شمس برفق:

–وهذا الخنق...

ليس لأن الآخرين آذوك،

بل لأنك لم تمنحه فرصة أن يتنفس دون خوف.

القاعدة الخامسة والخمسون

«لا تخشَ النظر إلى ماضيك... فهو طفلٌ ينتظر أن تُمسك بيده لا أن تهرب منه».

وقف شمس،

وتحوّلت الغرفة فجأة.

ظهرت صور مبعثرة:

الكاتب في طفولته،

في أول حب،

في أول جرح،

في أول خذلان،

وفي أول لحظة كتب فيها قاعدة من «قواعد الكره الستون».

قال شمس وهو يشير إلى الصور:

–هذا أنت.

طفلٌ لم يُسمع بكاؤه،

شابٌ لم يُفهم،

رجلٌ ظنّ أن القسوة حماية.

لكن الماضي ليس عدوك...

الماضي طفلك الذي يحتاج حضنًا.

اقترب شمس من إحدى الصور،

وقال:

–حين تواجه ماضيك...

تواجه جزءًا منك لم يُشفَ بعد.

وما لم يُشفَ...

يظل يدير حياتك دون أن تشعر.

سأل الكاتب بصوت مرتجف:

–وهل أستطيع أن أواجه كل هذا؟

اقترب شمس،

ووضع يده على كتفه:

–أنت لا تواجه لتُدين نفسك،

بل لتُحرّرها.

انفصال الظل عن الجسد

فجأة،

رأى الكاتب ظلّه يقف أمامه.

ظلّ يشبهه،

لكن عينيه كانتا ممتلئتين بكل ما أخفاه طوال حياته:

الخوف،

الغيرة،

الحسرة،

القلق،

الندم.

قال شمس:

–هذا أنت الذي هربت منه.

اليوم...

لن تستطيع الهرب بعد الآن.

تقدّم الكاتب نحو ظله،

وكان يشعر برجفه في صدره.

لكن الغريب...

أن الظلّ ابتسم.

قال الظلّ:

–أنا لست عدوك.

أنا أنت...

حين لم تجد من يسمعك.

سقطت دمعة من عين الكاتب.

ثم قال شمس:

–حين يلتقي الإنسان مع ظله،

تبدأ رحلة النور الحقيقية.

المشهد الأخير: بداية ولادة جديدة

جلس شمس أمام الكاتب،

ونظرهما يحمل أكثر مما تقوله الكلمات.

قال شمس:

–انتهينا من القواعد الخمس وخمسين.

بقيت خمس قواعد فقط...

وهي خلاصة الرحلة كلها.

قواعد ليست للحياة فقط،

بل للروح.

تنفّس الكاتب بعمق،

وسأل:

–وهل ستكون أصعب من السابق؟

أجاب شمس بابتسامة هادئة:

–الأصعب...

هو دائمًا الأصدق.

وأنت الآن جاهز للصدق.

ثم قال:

–في الفصل القادم...

سأكشف لك القواعد الأخيرة،

وسنبدأ معها

أول خطوة نحو ولادتك الجديدة.

**

القاعدة السادسة والخمسون

الاقتراب من الضوء... حين يصبح الوداع بداية لا نهاية

كانت الليلة مختلفة.

لم يكن في الهواء سكون،

ولا في الروح اضطراب.

بل كان هناك شعور دافئ...

يشبه لحظة ما قبل الفجر مباشرة،

حين يكون الظلام في أعمق درجاته

لكن القلب يعرف أن النور قادم.

جلس الكاتب أمام شمس

وهو يشعر أن شيئًا كبيرًا ينتظره.

لم يكن يعرف ما هو،

لكن حدسه كان يخبره

أن القواعد التي سيقرؤها الليلة

ستغيره بطريقة لا يمكن الرجوع عنها.

فتح شمس الدفتر

وكأنه يفتح بابًا،

بابًا لا يعود إليه الداخل كما كان.

ثم قال بصوتٍ يشبه الصلاة:

–هذه هي القواعد الخمس الأخيرة...

خلاصة كل ما تعلمته،

وكل ما كنت تهرب منه،

وكل ما ستصبحه يومًا.

جاهز؟

أجاب الكاتب بصوت ثابت:

–نعم.

القاعدة السابعة والخمسون

«لا تبحث عمّن يشبهك... ابحث عمّن يُشبه نُورك»**.

قرأ شمس القاعدة،

ثم ابتسم ابتسامة عميقة،

كأنها تحمل ذاكرة قديمة من أيام الرومي.

–طوال حياتك،

كنت تبحث عن أشخاص يشبهونك:

يشبهون حزنك،

يشبهون خوفك،

يشبهون وحدتك.

ظننت أن التشابه أمان...

لكن التشابه يا صاحبي

لا يصنع نورًا،

بل يعيد إنتاج الظلام نفسه.

سأل الكاتب:

–إذن... من يشبه نوري؟

قال شمس:

–من يرى نورك حتى حين تخفيه.

من يرى حقيقتك دون أن تُظهرها.

من يحبك لأنك أنت،

لا لأنك تشبه ماضيه.

ثم أضاف:

–شبيه النور...

هو الذي يأخذ بيدك نحو الله،

لا نحو خوفك.

القاعدة السابعة والخمسون

«لا تخشَ أن يصبح قلبك طريًّا... فالطراوة قوة لا يعرفها القساة».**

قال شمس:

–بعض الناس يخلطون بين الطراوة والضعف.

لكن الطريّ...

هو من لم تسممه القسوة رغم كل ما مرّ به.

هو الذي يُجرَح...

ولا يتغير سُمُّه إلى العالم.

أمسك شمس بيد الكاتب فجأة،

وقال:

–قلبك بدأ يلين أخيرًا...

لا لأنك ضعيف،

بل لأنك تعلّمت أن تحب نفسك

كما هي،

لا كما يجب أن تكون.

تنهد الكاتب وقال:

–أخشى أن أُجرح من جديد.

قال شمس:

–الجرح ليس عيبًا...

العيب أن تترك الجرح يمنعك من الحب.

الطراوة شجاعة...

والقسوة جبن متنكر بالقوة.

القاعدة الثامنة والخمسون

«لا تخف من الفقد... فكل فقدٍ يكشف عن مساحة جديدة للنور»**.

ساد صمت طويل.

كان الكاتب ينظر إلى شمس بطريقة مختلفة،

وكأن هذه القاعدة تمسّه شخصيًا.

قال شمس:

–الفقد ليس موتًا...

الفقد تحول.

نحن لا نفقد الأشخاص،

بل نفقد الأشكال التي عرفناهم بها.

أما أرواحهم...

فلا تغادرنا إن أحبّتنا.

سأل الكاتب بصوت خافت:

–هل تتحدث... عنك؟

أجاب شمس بابتسامة هادئة:

–أتحدث عن كل ما فقدته...

وكل ما ستفقده.

الفقد يعلّم القلب أن يتسع،

لا أن ينغلق.

ثم أضاف:

–لا تخف من الفقد،

فكل فقدٍ عتبة

نحو لقاء أعمق...

مع نفسك

ومع الله.

القاعدة التاسعة والخمسون

«لا تعش نصف حياة... فالنصف موت متقطع**».

وقف شمس هذه المرة.

كأن القاعدة تحتاج وقوفًا لا جلوسًا.

–يا صاحبي...

كم من السنوات عشتها بنصف قلب؟

نصف حضور؟

نصف ثقة؟

نصف حب؟

النصف... أسوأ من الفقد.

لأن الفقد موتٌ واضح،

أما النصف...

فموت يتكرر،

ولا يشعر به أحد سواك.

ابتسم الكاتب بمرارة:

–نعم...

عشت كثيرًا بنصف حياة.

أجاب شمس بقوة:

–اليوم...

لن تفعل.

من عرف نوره،

لا يعيش بنصف نفسه.

القاعدة الستون

«لا تبحث عن شمس خارجك... فالشمس الحقيقية تولد في قلبك»**.**

عمّ الصمت.

صمتٌ يشبه الولادة.

يشبه النهاية التي هي نقطة البدء.

نظر الكاتب إلى شمس مطولًا،

وبدأ يفهم...

بدأ يفهم شيئًا موجعًا وجميلًا في آن واحد:

أن شمس...

لم يظهر ليمنحه قواعد.

ولا ليغيّر كتابه.

ولا ليعلّمه عن الحب.

ولا ليشرح معنى الرومي.

شمس ظهر...

لأنه ظلَّ في قلب الكاتب مكانٌ مظلم

ينتظر نورًا يشبهه.

ونور شمس...

كان انعكاسًا لهذا المكان.

قال شمس بصوت منخفض،

صوت يشبه الحقيقة العارية:

–أنا لم آتِ من الخارج...

أنا تجلٍّ من داخلك.

أنت من استدعاني.

وأنت...

من سيكمل بعدي.

ارتجف الكاتب،

قال بصوت يقترب من البكاء:

–هل يعني هذا...

أنك سترحل؟

اقترب شمس منه،

ولمس جبينه بيده:

–الشمس لا ترحل...

هي فقط تغيّر مكانها في السماء.

ثم أضاف:

–حين تولد الشمس في قلبك...

لن تحتاج شمسًا مثلي بعدها.

قال الكاتب بصوت هادئ لكنه ثابت:

–شمس...

أريد أن أسألك شيئًا،

وأريدك أن تجيب بصراحة كاملة.

ابتسم شمس وقال:

–أنت اليوم تسأل بطريقة مختلفة... اسأل.

اقترب الكاتب قليلًا، ونظر إليه نظرة أرادت أن ترى ما وراء الضوء:

–هل أحَببتَ يومًا، يا شمس؟

لم يبتسم شمس هذه المرة.

لم يتهرّب.

لم يقل جملة حكيمة.

بل نزلت جفونه قليلًا، كأن السؤال لامس شيئًا لم يمسه أحد من قبل.

قال بصوت منخفض:

–نعم...

أحببت.

اتّسعت عينا الكاتب؛ لم يكن يتوقع اعترافًا بهذه السرعة، ولا بهذا الوضوح.

أكمل شمس:

–أحببتُ مرتين...

مرة عندما ظننت أن قلبي قادر أن يحمل روحًا أخرى،

ومرة عندما عرفت أن النور نفسه يمكن أن يوجع حين يقترب أكثر مما يجب.

سأل الكاتب بجرأة:

–وهل فشلت؟

ابتسم شمس ابتسامة حزينة، لم يرها الكاتب من قبل:

–لم أفشل... لكنّني لم أنجح أيضًا.

النور لا يفشل...

لكن البشر الذين يحاولون الاقتراب منه قد يشتعلون قبل أن يتعلموا كيف يلمسونه.

صمت الكاتب لحظة، ثم قال:

–شمس...

هل أخطأتَ؟

أقصد... هل ارتكبت خطأ حقيقيًا؟

شيئًا تندم عليه؟

تنفّس شمس بعمق،

وصار وجهه أكثر إنسانية من أي وقت مضى.

–نعم...

أخطأت حين ظننت أنني قادر على إنقاذ الجميع.

أخطأت حين ظننت أن قلبي لا ينكسر.

وأكثر أخطائي ألمًا...

أني ظننت أنني يجب أن أكون نورًا كاملًا لا يتدرّب، لا يسقط، لا يتعب.

انحنى الكاتب قليلًا للأمام، وصوته أصبح أكثر دفئًا:

–وهل... تتمنى لو كنت غير ذلك؟

أقصد... لو كنت إنسانًا عاديًا؟

تخطئ... تخاف... تغار... تتعب...

ضحك شمس ضحكة قصيرة، لكنها كانت مكسورة من الداخل:

–أحيانًا...

أحيانًا كثيرة.

أتمنى لو أنني لا أحتاج إلى أن أكون نورًا لأجل الآخرين،

ولا مرشدًا لأجل من يحبونني،

ولا ظلًا قويًا لأجل من يخافون السقوط.

رفع شمس عينيه نحو الكاتب مباشرة، وقال:

–أتمنى...

لو أنني أُحبّ ببساطة.

دون أن يرى الناس في حبي درسًا...

ودون أن يرى قلبي نفسه كواجب.

شعر الكاتب بشيء يشبه الدهشة... والشفقة.

هذه المرة لم يرَ شمسًا كمرشد...

بل كروح تحمل أثقالًا لا يراها أحد.

قال الكاتب بصوت خافت:

–لم أكن أعلم أنك تحمل كل هذا...

فاجأه شمس بإجابة صادقة جدًا:

–لأنني لم أكن أعطيك فرصة لترى.

كنت أخاف...

نعم، يا صديقي... أخاف.

أخاف أن تسقط صورتي في عينيك،

وأخاف أن تظنني عاديًا،

وأخاف أن تنسحب مني أنت أيضًا.

سكت الكاتب طويلًا...

هذه المرة كان هو الذي يفهم، وهو الذي يهدّئ.

قال بهدوء:

–إذًا… نحن متشابهان أكثر مما تخيلت.

أنت تخاف أن تُرى، وأنا أخاف أن أُرى.

أنت تهرب حين تشعر أنك تحمل الآخرين،

وأنا أهرب حين أشعر أنهم يحملونني.

ابتسم شمس ابتسامة أخيرة، لا تشبه أي ابتسامة رآها الكاتب منه:

–ربما لهذا التقينا…

لنتعلم أن النور ليس كاملًا،

وأن القلب ليس معصومًا،

وأن الحب…

يحتاج ضعفًا بقدر ما يحتاج قوة.

ثم قال:

–أحيانًا، يا صاحبي…

يحتاج المرشد إلى من يرشده،

كما يحتاج التلميذ إلى من يسمعه.

واليوم…

كنتَ أنت النور.

المشهد الأخير: لحظة الإدراك

شعر الكاتب فجأة

أن شيئًا يشبه الضوء

ينفجر في صدره.

لم يكن ألمًا،

بل كان كشفًا.

نورًا يفتح بابًا

لم يعرف أنه موجود.

رأى الكاتب كل شيء بوضوح:

كل قاعدة كتبها،

كانت جرحًا لم يُشفَ.

وكل كلمة غيّرها شمس،

كانت علاجًا لهذا الجرح.

والرحلة كلها...

لم تكن بينه وبين شمس،

بل بينه وبين نفسه.

جلس شمس بجواره وقال:

–انتهينا من القواعد الستين...

وبدأنا رحلتك الحقيقية.

سأل الكاتب:

–وما الخطوة القادمة؟

أجاب شمس بصوت يشبه النهاية التي تبتسم:

–أن تعيش...

لا كما كنت،

بل كما صرت.

أغمض الكاتب عينيه.

كان يشعر أنه يولد من جديد.

وحين فتحهما...

لم يجد شمس أمامه.

لكن الغريب...

أنه لم يشعر بالفقد.

بل شعر أن شمسًا

تحرك مكانها من أمامه

إلى داخله

ميلاد النور... وولادة الكاتب من جديد**

استيقظ الكاتب ذلك الصباح قبل طلوع الشمس،

لكن المفارقة العجيبة

أنه شعر أن الشمس قد سبقت الفجر

وولدت داخله أولًا.

لم يكن في الغرفة شيء مختلف...

نفس الكرسي الخشبي،

نفس الطاولة المزدحمة بالأوراق،

نفس النافذة المفتوحة على نصف مدينة نائمة.

لكن شيئًا واحدًا كان قد تغيّر:

الكاتب نفسه.

تحسّس صدره بيده

وكأنه يبحث عن أثرٍ لبقاء شمس.

لم يكن هناك طيف،

ولا ضوء خارجي،

ولا صوت يأتي من عالم آخر.

ومع ذلك...

شعر بحضور لا يُرى،

حضور يشبه الدفء الذي يسبق المطر مباشرة.

جلس على الطاولة،

وفتح دفتر «قواعد الكره الستون»

لأول مرة دون خوف...

ودون غضب...

ودون الحاجة إلى حماية نفسه من ذاكرته.

فإذا بكل صفحة

كانت تحمل كلماتٍ سوداء ثقيلة،

تبدو الآن...

خفيفة،

باهتة،

كأنها كتبها شخص آخر غيره.

همس لنفسه:

–كنت أظن أن هذه القواعد حمتني...

لكنها كانت سجني.

ثم أغلق الدفتر،

دون ألم،

ودون دمعة،

كما يغلق الإنسان باب بيتٍ قديم

يودّعه بأمان.

اللمعة الأولى للنور الجديد

جلس الكاتب مطوّلًا أمام ورقة بيضاء.

ورقة لم يجرؤ أن يكتب عليها منذ سنوات،

كان يخشاها...

لأن البياض مرآة،

والمرآة لا تجامل.

لكن هذه المرة،

لم يهرب.

أمسك القلم،

وأغمض عينيه،

فسمع صوتًا...

ليس صوت شمس كما عرفه،

بل صوتًا يشبه شمس

بعد أن صار داخله.

قال الصوت:

–اكتب...

ولا تخف.

فالكلمات لا تُولد من الجراح بعد الآن،

بل من النور.

فتح الكاتب عينيه،

وفي أول سطر كتب:

«القاعدة الأولى من قواعد النور:

لا تبحث عن من ينيرك...

كن أنت النور.»

ارتجفت يده.

لم يكن يكتب فقط...

كان يولد.

أول اختبار للنور

خرج الكاتب من غرفته،

قادته قدماه إلى المكان الذي كان يكره المرور به...

المقهى القريب من ذاكرة قديمة،

ذاكرة خذلان،

كان كل شيء فيه يذكّره بـ "غيداء"،

الفتاة التي ظن أنها كسرت قلبه،

قبل أن يعرف أنه هو من ترك قلبها ينكسر بصمته.

جلس في المقهى،

وكأنه يواجه ماضيه بلا درع.

وفجأة،

بين الزحام،

رآها.

كانت "غيداء"

جالسة مع صديقتين،

تضحك...

ضحكة ليست ساخرة،

وليست مكسورة،

ضحكة إنسانة

نجت من الحزن الذي ظن أنه هزمها.

تجمّد الكاتب.

لكن شيئًا مختلفًا حدث...

لم يتألم.

لم يغضب.

لم يشعر بوخزة.

شعر بصفاء ينساب في صدره...

سلامًا لم يعرفه يومًا.

اقتربت غيداء من الباب،

ولم تره،

لكن حين مرت بجانبه،

شعر أن لقاءً غير مرئي حدث،

لقاءً روحيًا صغيرًا،

لا يحتاج كلامًا.

همس داخله صوت شمس:

–الغفران يا صاحبي...

ليس أن تعود،

ولا أن تشرح،

بل أن ترى الشخص

دون أن يوجعك.

ابتسم الكاتب.

هذه كانت أول علامة

أن قواعد النور بدأت تعمل.

البداية الحقيقية للكتاب الجديد

عاد الكاتب إلى غرفته،

وفتح الورقة البيضاء من جديد،

وكتب:

القاعدة الثانية من قواعد النور:

لا تحمل جرحًا أكثر من الوقت اللازم لشفائه.

كل شيء له أجل... حتى الألم.

ثم:

القاعدة الثالثة من قواعد النور:

لا تسأل: لماذا حدث؟

واسأل: ماذا تعلّمت؟

فالحكمة تبحث عن الدرس... لا عن الجرح.

وواصل الكتابة...

كأن الكلمات كانت تنتظره منذ سنوات،

كأن شمس يكتب من خلاله،

لكن ليس أمامه...

بل من داخله.

وعند القاعدة السابعة،

توقّف فجأة.

شعر بشيء يشبه الضوء حول كتفه.

لم يكن طيفًا،

ولا ظلًا،

بل تذكّر...

تذكّر كيف كان شمس يلمس كتفه

حين يريد أن يثبّته.

قال الكاتب لنفسه:

–لم يرحل شمس...

لقد عاد إلى المكان الصحيح.

إعلان الميلاد الجديد

في تلك الليلة،

وضع الكاتب الدفتر الجديد على الطاولة،

وكتب على غلافه:

«قواعد النور...

نسخة الكاتب الذي وُلد بعد أن رأى شمسًا

في داخله.»

ونهض من كرسيه،

فتح النافذة،

ودخل نسيم الليل إلى قلبه

كما لو أنه عرس صغير بين الروح والعالم.

لأول مرة منذ سنوات...

شعر أنه لا يكتب ليهرب،

ولا ليحمي نفسه،

ولا ليبرر شيئًا.

كان يكتب...

لأنه من الداخل

صار نورًا قادرًا على أن يُرى.

**

الولادة الثانية... حين يصبح القلب سَمْعًا وبصرًا

لم يعد الكاتب الرجلَ الذي جلس في أول ليلة

يكتب "قواعد الكره الستون"

كمن يبني سورًا حول قلبه.

كان الآن يشبه شخصًا عاد من رحلة طويلة،

لم يتغيّر فيها وجهه كثيرًا...

لكن عينيه لم تعودا كما كانتا:

صارتا أعمق،

أهدأ،

وأقرب إلى شيء يعرف الطريق حتى لو لم يمشِه بعد.

لحظة الغياب الظاهر... والحضور الباطن

مرّت أيام لم يرَ فيها شمس.

لا طيف،

لا ظل،

لا رجل يجلس على الكرسي،

ولا صوت يأتي من زوايا الغرفة.

ومع ذلك...

لم يشعر الكاتب بالوحدة.

كان يجلس وحده...

ولا يكون وحده.

يمشي في الشارع...

ويشعر أن يدًا خفية

توازن خطواته كي لا يميل.

كان كل شيء في حياته

يشبه وجود شمس

دون أن يراه.

في صباحٍ معيّن،

جلس أمام المرآة.

نظر إلى وجهه طويلًا،

ثم همس لنفسه:

–لم أعد أراك كما كنت...

من أنت الآن؟

لم يجب الصوت من الخارج،

أجاب من الداخل:

«أنا... الذي بقيَ منك

بعد أن أسقطتَ كل شيء ليس أنت.»

ارتجف الكاتب.

لم يكن صوت شمس كاملاً،

ولا صوته هو كاملاً...

كان مزيجًا بين الاثنين.

كأن شمسًا أصبح طبقةً عميقة

في صوته الداخلي.

السماع الداخلي... دون موسيقى

في تلك الليلة،

لم يفتح الكاتب الدفتر.

لم يكتب.

لم يقرأ.

اكتفى بأن يجلس على الأرض،

مغمض العينين،

ناصف الظهر،

والقلب حاضرًا كما لم يكن من قبل.

لم يكن هناك دفّ،

ولا موسيقى،

ولا رقصة دائرية.

لكن كان هناك سَماع.

سَماع لا تُسمَع فيه أنغام،

بل تُسمَع فيه الروح.

بدأ يسمع أشياء غريبة:

صوت أنفاسه كأنه موج،

صمت الغرفة كأنه آية،

نبضات قلبه كأنها تقول:

"هنا...

هنا...

هنا"...

لم يكن يعرف ماذا يعني "هنا"،

لكنّه شعر أن "هنا" ليست الغرفة،

ولا الجدران،

بل هذا المكان العميق في صدره

حيث جلس شمس طويلًا

يحرّك المعاني بهدوء.

في الظلام الداخلي،

رأى وجهه.

لكن وجهه لم يكن كما في المرآة.

كان فيه شيء من شمس،

وشيء من الرومي،

وكلّه منه هو.

شعر أنه لو مدّ يده إلى داخل صدره،

لسحب منها شخصًا جديدًا

لم يكن يعرف أنه يسكنه منذ زمن.

الاختبار الأول للنور

في اليوم التالي،

تلقى رسالة من شخصٍ قديم،

شخصٍ كان يومًا سببًا في واحدة من جروح القواعد الستين.

رسالة قصيرة،

بسيطة:

"مرّ وقت طويل...

هل يمكن أن نلتقي؟"

قبل ظهور شمس في حياته،

كان الكاتب سيفرح

أو يغضب

أو يرفض

أو يستعدّ لمعركة صغيرة في داخله.

ولكن الآن...

نظر إلى الرسالة،

وشعر بشيء مختلف:

هدوء.

لا رغبة في الانتقام،

ولا رغبة في إثبات شيء،

ولا خوف من إعادة المشهد القديم.

جلس بهدوء،

وأغمض عينيه،

وسأل قلبه:

–ماذا تريد؟

سمع صوته الداخلي يقول:

«لا أريد أن أعود...

ولا أريد أن أكره.

أريد السلام فقط.»

ابتسم.

أمسك الهاتف،

وكتب:

"أشكرك لأنك تذكّرتني...

لكن الماضي أخذ حقه من اللقاءات.

الآن أفضل أن يكون السلام من بعيد".

حين أرسل الرسالة،

شعر أنه لم ينتصر على أحد...

بل انتصر على نفسه القديمة.

سمع همسًا خفيفًا

لا يشبه الصوت الخارجي،

بل يشبه نسمة تسري في القلب:

«هكذا يكون النور...

لا يطفئ أحدًا،

ولا يحرق نفسه.»

فعرف أن شمس

لم يغِب.

الولادة الثانية... بلا شهود

في تلك الليلة،

جلس الكاتب على سريره،

وضع يده على صدره،

وقال بصوت مسموع:

–أنا لا أُشبه الرجل الذي بدأ هذه الرحلة...

وأخاف أن أضيع من جديد.

جاءه الصوت من داخله،

هادئًا،

عميقًا:

«لن تضيع...

ما دمت لا تهرب من نفسك.»

ثم رأى نفسه طفلًا،

ذلك الطفل الذي بكى في صمت،

وجلس في زاوية لم يلتفت إليه أحد.

اقترب منه،

جثا على ركبتيه أمامه،

فتح ذراعيه،

واحتضنه.

لم يكن مشهدًا حقيقيًا،

ولا حلمًا كاملًا،

كان ما بينهما،

المنطقة التي يولد فيها الرمز.

في تلك اللحظة،

شعر الكاتب بأن شيئًا في داخله

التأم.

لا عاد الطفل يخاف،

ولا عاد الرجل يهرب.

هذه كانت الولادة الثانية:

الولادة التي لا يخرج فيها الإنسان من بطن أمّه،

بل يخرج من ضيق نفسه

إلى رحابة قلبه.

عودة شمس... لا كضيف، بل كجزء

في هدوء الليل،

فتح الكاتب عينيه،

فلم يجد أحدًا في الغرفة.

لكن حين نظر إلى الظلّ

الذي يرسمه ضوء القمر على الحائط،

رأى كأن الظلّ لا يعود فقط لجسده،

بل رأى ظلًّا ثانيًا

يتموّج حوله...

لم يكن ظلًّا واضحًا،

ولا وجهًا،

ولا جسدًا.

كان حضورًا.

سمع الصوت القديم – الجديد:

«أنا هنا...

لكن ليس كما كنت تظن.

لن أعود طيفًا يزورك،

لأنك لم تعد تحتاج الزائر.

أنت الآن صاحب البيت.»

ابتسم الكاتب،

ولم يسأل هذه المرة: "من أنت؟"

كان يعرف.

همس داخله:

—شمس...

جاء الجواب:

«شمسٌ...

لكنه الآن ضوؤك أنت.»

بداية الكاتب الجديد

في الصباح التالي،

جلس الكاتب أمام دفتر "قواعد النور"،

وأكمل:

القاعدة العاشرة من قواعد النور:

«الولادة ليست حدثًا واحدًا...

كل مرة تصدق مع نفسك

تولد من جديد.»

ثم كتب سطرًا آخر

بخطّ مختلف،

يشبه بصمة توقيعٍ جديد على حياته:

«لم أعد ذلك الذي كتب قواعد الكره الستون...

أنا الآن الرجل الذي تعلّم

أن النور لا يُستعار...

بل يُكتشف.»

وأغلق الدفتر هذه المرة

لا هربًا...

ولا تعبًا...

بل ليخرج إلى الحياة

ويختبر كل ما كتبه...

فالحكمة التي لا تعاش

مجرد حبر جميل على ورق.

**الخاتمة الكبرى

حين ينطفئ الظل... ويولد صاحبه من النور**

لم يكن الكاتب في نهاية الرحلة

الرجل الذي بدأها.

لم يعد ذلك الإنسان المكسور

الذي ظنّ أن الكره درع،

وأن الهروب حكمة،

وأن القواعد الستون

هي الطريقة الوحيدة ليحمي قلبه

من خذلان العالم.

فالرحلة مع شمس

لم تكن دروسًا،

ولا حكمًا،

ولا مناظرات صوفية فقط.

كانت كشفًا...

وتعرية...

وإعادة بناء من الداخل.

لقد كتب في البداية

"قواعد الكره الستون"

ولم يكن يدري

أنه كتبها ليكتشف في النهاية

أنها لم تكن إلا صرخته المؤجلة،

واعترافاته المقنّعة،

ووجعه الذي كان خائفًا من رؤيته.

لكن حين ظهر شمس،

ظهر ليس ليحوّل أوراقه،

بل ليحوّله هو.

ظهر ليقول له

إن القلوب لا تُطهر بالرفض،

ولا تُشفى بالغضب،

ولا تُبنى بالجدران.

إنما

النور وحده

هو الذي يخرج الإنسان من ضيق نفسه

إلى رحابة روحه.

كيف انتهت الرحلة؟

لم ينتهِ اللقاء بشمس بوداعٍ يشبه الفقد،

ولا بحزن،

ولا بانطفاء.

بل انتهى كما تنتهي كل الرحلات الحقيقية:

بتحوّل.

لقد غاب شمس الظاهر،

لكنه بقي شمس الباطن.

لم يعد ضيفًا يأتي ويختفي،

بل صار طبقة من صوت الكاتب،

ونبضًا في قلبه،

ومرآةً يرى بها نفسه بصراحة

لا يخاف منها.

صار النور جزءًا منه.

صار الكاتب

هو شمس...

بقدر ما كان شمس هو نفسه.

الكاتب الجديد... والرجل الذي لن يعود إلى الظلام

لم يعد يبحث عن من يشبهه،

بل عن من يشبه نوره.

لم يعد يخاف من الطراوة،

بل صار يعرف أنها قوة

لا يدركها إلا من شفوا قلوبهم.

لم يعد يهرب من نفسه،

ولا من طفله القديم،

ولا من جراحه.

واجهها كلها،

واحتضنها،

حتى صارت جزءًا من حكمته.

لم يعد يبحث عن شمس خارج قلبه...

لأن الشمس وُلدت فيه.

القواعد الجديدة... شهادة الميلاد الثانية

لم تعد "قواعد الكره الستون"

هي الكتاب الذي يعرّف حياته.

تقلّبت صفحاته أمامه

حتى أدرك أنها مرحلة ضرورية،

مرحلة كان لا بدّ أن يعيشها

ليصل إلى النسخة الجديدة منه.

اليوم لديه كتاب آخر،

كتاب وُلد من نور،

لا من خوف:

«قواعد النور».

كتابٌ لا يحميه من الناس...

بل يفتح قلبه للحياة.

كتابٌ لا يضع حدودًا...

بل ينثر خطوات.

كتابٌ لا يبني جدرانًا...

بل يفتح نوافذ.

هل انتهت القصة؟

الحقيقة...

لا تنتهي القصص التي تُروى للنور.

النور ليس محطة،

بل طريقًا.

ليس خاتمة،

بل بداية.

وهذه الرحلة

كانت مجرد بابٍ

فتح للكاتب قلبه من الداخل.

أما حياته من الآن فصاعدًا...

فهي الرحلة الحقيقية.

رحلة الإنسان الذي يمشي في الدنيا

ومعه شمس لا تغرب،

نور لا يخبو،

قلبٌ لا يخاف،

وروحٌ

عرفت طريقها أخيرًا.

"

لم أعد أبحث عن الشمس في السماء...

فلقد وجدتها في قلبي".

فهرس المحتويات

الفصل الأول.......... 5

القاعدة الأولى 23

القاعدة الثانية.......... 31

القاعدة الثالثة.......... 32

القاعدة الرابعة 37

القاعدة الخامسة.......... 40

القاعدة السادسة... وتحوّل المكان 42

القاعدة السابعة... والطفل الذي لم يكبر 45

القاعدة الثامنة 70

القاعدة التاسعة... جدار الإنكار.......... 72

القاعدة العاشرة... وحقيقة اللوم 74

القاعدة الحادية عشرة: اختبار الانهيار.......... 76

القاعدة الثانية عشرة: ما بعد الانهيار 79

القاعدة الثالثة عشرة.......... 86

القاعدة الرابعة عشرة 88

القاعدة الخامسة عشرة.......... 90

القاعدة السادسة عشرة 120
القاعدة السابعة عشرة 122
القاعدة الثامنة عشرة 124
القاعدة التاسعة عشرة 126
القاعدة العشرون 128
القاعدة الحادية والعشرون 146
القاعدة الثانية والعشرون 148
القاعدة الثالثة والعشرون 150
القاعدة الرابعة والعشرون 152
القاعدة الخامسة والعشرون 154
القاعدة السادسة والعشرون 161
القاعدة السابعة والعشرون 163
القاعدة الثامنة والعشرون 165
القاعدة التاسعة والعشرون 167
القاعدة الثلاثون 169
الفصل الثاني 185
القاعدة الحادية والثلاثون 187

القاعدة الثانية والثلاثون 192
القاعدة الثالثة والثلاثون 193
القاعدة الرابعة والثلاثون.. 195
القاعدة الخامسة والثلاثون 196
القاعدة السادسة والثلاثون.. 199
القاعدة السابعة والثلاثون 201
القاعدة الثامنة والثلاثون.. 202
القاعدة التاسعة والثلاثون 204
القاعدة الأربعون 205
القاعدة الحادية والأربعون 210
القاعدة الثانية والأربعون 212
القاعدة الثالثة والأربعون 214
القاعدة الرابعة والأربعون.. 216
القاعدة الخامسة والأربعون 218
القاعدة السادسة والأربعون.. 222
القاعدة السابعة والأربعون.. 223
القاعدة الثامنة والأربعون.. 224

القاعدة التاسعة والأربعون 225
القاعدة الخمسون 227
القاعدة الحادية والخمسون 232
القاعدة الثانية والخمسون 234
القاعدة الثالثة والخمسون 236
القاعدة الرابعة والخمسون 238
القاعدة الخامسة والخمسون 240
القاعدة السادسة والخمسون 246
القاعدة السابعة والخمسون 248
القاعدة السابعة والخمسون 250
القاعدة الثامنة والخمسون 252
القاعدة التاسعة والخمسون 254
القاعدة الستون 256
القواعد الجديدة... شهادة الميلاد الثانية 297
هل انتهت القصة؟ 299
فهرس المحتويات 301

حقوق النشر والتصميم محفوظة

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

2025م

رحلة كاتبٍ ظنّ أن الكره حماية،
فكتب «قواعد الكره الستون» ليُبعد الألم عن قلبه.
لكن ظهور شمس الدين التبريزي في حياته - ظهورًا روحيًا يهزّ الروح - غيّر كل شيء.

قاد شمس الكاتب في رحلة صوفية عميقة،
حوّل فيها القواعد من جدرانٍ للخوف
إلى مرايا يرى فيها الكاتب نفسه كما هي.
وفي كل قاعدة،
كان الكاتب يكتشف جرحًا... ثم نورًا يلتئم منه.

لم يكن شمس معلّمًا خارجيًا،
بل نورًا داخليًا ينتظر أن يولد.
وحين فهم الكاتب ذلك،
أغلق كتاب الكره
وكتب بدلًا عنه «قواعد النور»،
ليعلن ولادته الثانية.

هذه الرواية حكاية رجلٍ عاد إلى نفسه،
واكتشف أن الشمس التي بحث عنها طويلًا...
كانت تسكن قلبه منذ البداية.